جوانب دعوية

من أحداث الثورة المصرية

٢١ صفر ١٤٣٢هـ - ٢٥ يناير ٢٠١١م

إعداد
عبد الحافظ أحمد طه محمد
مدرس في قسم الأديان والمذاهب
كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة
جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي له القوة والقدرة والملك، بتقديره تجري السفن في الفلك، وبحكمته البقاء والهلك.

قل: اللهم مالك الملك، لك العظمة والكبرياء والرفعة والثناء، والمجد والبهاء، تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء، منك السراء، والضراء، وبتقديرك الآلاء، والنعماء، لك البقاء، ولغيرك الفناء، تعز من تشاء، وتذل من تشاء.

أحمده على جزيل النعم، وأعوذ به من وبيل النقم، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، وخيرته من بين خلقه وحبيبه، اللهم صل وسلم وزد وبارك على هذا النبي الأمي المبارك، الذي ثار على الظلم والفساد، وأخرج من شاء الله من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

صلاة وسلاماً دائمين عليه، دوام الليل والنهار، وعلى آله وصحبه الكرام البررة، وعلى التابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعـــــــد:

١ ــ فالثورات طبيعة مجتمعية، وظاهرة إنسانية، لأن النفوس ــ بفطرتها ــ تكره الضيم، وتأبى الظلم، وتنفر من الفساد والمفسدين، وتتوقى إلى العيش في أجواء العدل والحرية والكرامة، تلك الأمور التي لا صلاح ولا إصلاح للكون إلا بها.

إن الناس جميعاً يبتغون فجراً جديداً،أو حتى ليلاً جديداً، ولكن يضيئه قمر جديد.

ومن هنا جاءت سنة التدافع بين زمرة الحق، وحزب الباطل، بين الخير والشر، والنور والظلمة، قال عز من قائل: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ

لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ سورة البقرة، الآية: ٢٥١.

إذ لو ظل الناس لحكامهم خانعين، وبالظلم قانعين، وبالفساد راضين، وعن المنكر ساكتين، لفسدت الأرض، ولكن الله ــ تعالى ــ لا يريد إفسادها، لأنه خلقنا لعمارتها، كما قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ سورة هود، الآية: ٦١.

٢ ــ ومن ثم أمر الله ﷻ بالوقوف في وجوه المفسدين والظالمين، والصدع بكلمة الحق أمامهم، وعدم الخشية من سطوتهم، أو الخوف من مكرهم.

بل أمرَ سبحانه بعدم الركون إليهم، ليستوحشوا بالوحدة، ولعلهم يفيئون ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ سورة هود، الآية: ١١٣.

إذ لو تركوا على ما يصنعون لعاثوا في الأرض فساداً، ولأزكموا الهواء المشاع بنتن أفعالهم وجرائرهم، وما رضوا عن أقوالهم بديلاً، وأراهم تحويلاً، ألم يقل فرعون ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ سورة غافر، الآية: ٢٩.

٣ ــ وبسبب الظلم والفساد، والقهر والاستبداد، فاجأت بعض الدول العربية، العالم كله بثوراتها، ضد حكامها، الذين استووا على عروشهم، سنين عدداً، وكأنهم أخذوا من الله ــ تعالى ــ صحائف وكتباً، أنهم منه ﷻ مختارون، ومصطفون، والدولة بدونهم، سيصيبها الشقاق والخلاف، وستعود إلى الوراء، بل وسال بالدم أبطح.

وسوى تلك النظرة الفرعونية من الحكام لأنفسهم، فإنهم بخسوا شعوبهم حقوقها، وأمعنوا فيهم ظلماً، وفي الأرض فساداً، وطغياناً، وعتواً، وكبراً.

٤ ــ فخرجت الشعوب، رافضة الظلم، متمسكة بالقيم، ألقت على عاتقها الشعور بالخنوع والسلبية والمذلة، ووضعت تلك الأخلاق السيئة في بحر لجي، يغشاه موج، من فوقه موج، من فوقه سحاب.

ــ أرادت الشعوب أن تسترد عزتها المسلوبة، وكرامتها المنتهكة، وحقوقها المغتصبة، وأنفسها المستباحة.

ــ ابتغت الشعوب أن تدافع عن أنفسها، وأعراضها، وثروات بلادها التي سرقت.

ــ رغبت الشعوب أن يشبع الجائع، ويكسو العاري، ويعالج المرضى.

ـ أحبت الشعوب أن تقول: لا للطغيان، والفساد، وضياع الحقوق، واستباحة الحرمات.

ـ هبت الشعوب لتقول: إن الصبر يحدود أمره متى بلغ السيل الزبى، فلا مفر من المقاومة، ولا مناص من المنازلة، ولا سبيل إلا الوقوف في وجه من طغى، وعتى، وتجبر، وبغى، قال الله: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٤) وهو في القصص، الآية.

وفي كل ذلك يجمع الشيء الواحد: أن الثورات، بالعمل السياسي، والمواجهة الدائمة، تريد الإصلاح، والعدالة الاجتماعية.

ولقد كانت لهذه الثورات العربية، التي أذهلت العالم، وسلبت الألباب والعقول، والأفئدة؛ الثورة المصرية المباركة الكائنة في يوم الثلاثاء ٢٥ يناير (٢٠١١م) الموافق ٢٥ صفر سنة ١٤٣٢هـ، التي خرج الشعب فيها إلى الميادين الرئيسة بمدنها ومحافظاتها، والأرياف، وما كانوا أبداً، ولا سيكونوا يوماً، وطلبوا أو لا يطلبوا، أو يريدوا، حكمك، بل كان الشعار (سلمية، سلمية).

وكأنها تنادي العالم كله أن الثورات السياسية قد انقضى عهدها، وولت أيامها، وانتهى زمنها، والشعب قادر على تغيير نظام الحكم به إن كان الجائر أسيادا سلاحه وقوته.

وهي من أنبه الثورة فجرتها الآلات التكنولوجية الحديثة كالفيس بوك وغيره، وهي ثورة إنها ثورة بدأت سلمية خالية من العنف، والبلطجة، لا لعدالة القضية، ولا لروعة الحياة.

ـ إنها ثورة أقلقت مضاجع إسرائيل، حتى فكرت أن تعيد إليها الاعتبار الأمنية من جديد.

ـ إنها ثورة فريدة من نوعها، حتى حازت إعجاب العالم كله، ولم لا؟! ومصر هي قلب الأمة النابض، وساعدها القوي الفتي، ومستشارها الأمين.

ـ إنها ثورة شارك فيها دعاة إلى الله ـ تعالى ـ كثر، وهي ملأى

بالدروس التي يستفيد منها الدعاة في مجال الدعوة، سواء لأنفسهم، أو لمدعويهم، فالحكمة ضالة المؤمن، أنى وجدها، أخذ بها.

٦ ــ من أجل ذلك كله استخرت الله ﷻ بعد أن تشاورت مع أساتذتي بالكلية، أن أتتبع الجوانب الدعوية من الثورة المصرية المباركة، إيماناً مني بأن كل رسول ما جاء إلا ليثور في وجه الظلم والفساد، فالوحي تغيير، والثورة تغيير، إن كان كتب الله ــ تعالى ــ لها الطريقة المثلى في الإصلاح، فالدين الصحيح قرين الثورة التي تسير في مسارها الصحيح.

ولله در ربعي بن عامر [1] ﷺ عندما أجاب هذه الإجابة السديدة الموفقة على سؤال رستم قائد جيش الفرس يوم القادسية، قال له: (ما جاء بك؟ قال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله، قال: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقى) [2].

ويوضح الإمام الشعراوي (ت: ١٤١٩هـ) في خواطره حول القرآن الكريم، أن ذلك الأمر من أسس بعثة الأنبياء جميعاً.

يقول رحمه الله: (فكل رسول يأتي إنما يأتي في زمن فساد، وهذا الفساد ينتفع به بعض الناس، وطغيان يعاني منه الكثيرون الواقع عليهم الفساد والطغيان، ويأتي الرسول وكأنه ثورة على الطغيان والفساد، لذلك يتمسك به الضعفاء، ويفرحون به،

---

(١) هو الصحابي الجليل ربعي بن عامر بن خالد بن عمرو، كان من أشراف العرب، وشهد فتح دمشق، ثم خرج إلى القادسية. انظر: أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله، تاريخ مدينة دمشق، ١٨/ ٤٩، رقم: ٢١٣٦، دار الفكر بيروت، سنة ١٩٩٥م، تحقيق: محب الدين بن غرامة العمري، وانظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ٢/ ٤٥٤، دار الجيل، بيروت، ط/١، سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، تحقيق: علي محمد البجاوي.

(٢) الحافظ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، مج ٤ ج ٤ ص ٤٠، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: ... سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٩م، تحقيق: د/ أحمد أبو ملحم، د/ علي نجيب عطوي، أ/ فؤاد السيد، أ/ مهدي ناصر الديـــن، أ/ علي عبد الساتر.

وتلتف قلوبهم حوله، أما المنتفعون بالفساد فيقولون: إن أتباعه هم أراذلنا، وكأن هذا القول طعن في الرسول، لكنهم أغبياء، لأن هذا القول دليل على ضرورة مجيء الرسول ليخلص هؤلاء الضعاف، ويجيء الرسول ليقود غضبة على فساد الأرض، ولينهي الفساد.

وهي غضبة تختلف عن غضبة الثائر العادي من الناس، فالثائر العادي من الناس يرى من يصفق له من المطحونين بالفساد، لكن آفة الثائر من البشر شيء واحد، هي أنه يريد أن يستمر ثائراً ولكن الثائر الحق هو الذي يثور ليهدم الفساد ثم يهدأ ليبني الأمجاد)[1].

٧ ــ هذا وقد جاءت خطة البحث مشتملة على مقدمة وثلاثة مباحث، وخاتمة، تتضمن نتائج البحث وتوصياته، على النحو التالي:

المبحث الأول: ثورة التغيير في مصر، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الثورة.

المطلب الثاني: أبطال ثورة ٢٥ يناير المصرية.

المطلب الثالث: الدعاة ودورهم في الثورة.

المبحث الثاني: أخلاق الثوار في ميدان التحرير وكيفية الإفادة منها في مجال الدعوة إلى الله ــ تعالى ــ، وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: عبقرية التخطيط.

المطلب الثاني: الثبات والصمود.

المطلب الثالث: التكافل.

المطلب الرابع: مشاركة المرأة للرجل.

المطلب الخامس: التسامح مع المسيحيين.

المطلب السادس: الحفاظ على اللغة العربية.

المطلب السابع: العفاف.

---

(١) تفسير الشعراوي ١٠/ ٦٤٣٠ ــ ٦٤٣١ باختصار، أخبار اليوم، بدون تاريخ ورقم طبعة.

المطلب الثامن: النظافة.

المبحث الثالث: شهادة العالم على الثورة وتوظيفها في خدمة الدعوة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: توصيف الشهادات.

المطلب الثاني: دور الثورة المصرية في تغيير نظرة الغرب نحو الإسلام.

المطلب الثالث: عوامل نجاح الدعوة في البلاد الغربية (لاستكمال آثار الثورة عالمياً).

وأخيراً: ورقة عمل للدعاة بعد الثورة.

وبعد: فهذا ما أعانني ربي ــ تعالى ــ على جمعه وتنسيقه وترتيبه، فإن كنت وفقت فمنه وحده، ثم ببركة توجيه الأساتذة في القسم، وإن كنت زللت، فالزلل من شيمة البشر، والخطأ قرين لأولاد آدم ﷺ.

ويعلم الله ــ تعالى ــ أنني مكثت في هذه الدراسة شهوراً كثيرة، بذلت فيها الجهد والوقت والمال، على أمل أن تظهر في هذا الثوب القشيب.

وكلي رجاء:

١ ــ أن أكون قد قدمت خدمة لوطني، الذي يفتدي بالغالي والنفيس، لأن الثورة تحتاج إلى دراسة شاملة من شتى الجوانب.

٢ ــ أن أكون قد قدمت خدمة لديني، ببيان كيفية الاستفادة من أحداث الثورة في مجال الدعوة إلى الله ﷻ.

٣ ــ أن يتقبل الله ﷻ مني هذا العمل، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأجد ثوابه يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً.

أسأل الله ــ تعالى ــ أن تكون تلك الثورة المصرية المباركة، وجميع الثورات في البلاد العربية، منعطفاً حقيقياً للأمة الإسلامية، وبداية لنهضتها، وتنمية مواردها، وعاملاً من عوامل وحدتها، وعودتها إلى دينها، وربها، ورسولها ﷺ، وشرعها، فلن تعلو هامة دولة ما لم تحكم فيها شرع ربها، وسنة نبيها ﷺ، اللهم أقر أعيننا بنصرة الإسلام، وعز الموحدين.

﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝٤ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٥﴾ سورة الممتحنة، الآيتان: ٤، ٥.

وصلي الله وسلم وبارك على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه الفقير إلى عفو مولاه/ عبد الحافظ أحمد طه

٤ شوال ١٤٣٢هـ/ ٢ أغسطس ٢٠١١م

المبحث الأول
ثورة التغيير في مصر

تعد الثورة المصرية علامة فارقة في تاريخ مصر، وشعبها، الذي خرج فرادى وجماعات، إلى الميادين الرئيسة، يطالب بحريته، ويهتف أن تعود العدالة والكرامة، حتى تحقق له أماني ما كان يحلم بها.

والذي ساعد على ذلك: أحداث تراكمت، وماض سحيق، بئيس، مؤلم، ذو غصة، عاشه الناس في أيام كالحة، وليالي شديدة السواد، وعقود طال عليهم أمدها

ومما لا شك فيه أن ذلك ــ الإجمال ــ يستدعي إيضاحاً، وشرحاً، وبياناً وتحليلاً، وهو ما دعا إلى إعداد هذا المبحث، الذي جاء في المطالب التالية:

المطلب الأول
مفهوم الثورة

تدور كلمة الثورة في أصلها اللغوي، حول معاني متعددة مثل: الهيجان والتغير، والقفز، والظهور، والانتشار، والغلبة، والتفشي، والانتفاخ من الغضب، وتحريك أجزاء الأشياء عن مواضعها.

فـ (ثار الغبار: سطع، وثار الدخان والدم: إذا تفشى فيه وظهر، و: الشعر: قام، وثار فريص [1] رقبته: إذا انتفخ من الغضب، وثارت نفسه: إذا جاشت وثار الماء من بين كذا: نبع بقوة وشدة، ويقال للبقرة مثيرة: لأنها تثير الأرض تقلبها للزراعة، والثور: الحمرة التي بعد سقوط الشمس، لأنها تثور، أي تنتشر)

---

(١) أي: عصب الرقبة وعروقها، لأنها هي التي تثور في الغضب. انظر: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، الصحاح، ص ٤٩٨، مادة: فرص، تحقيق: السيد محمود عاطر، الهيئة المصرية العامة لشئون المطابع الأميرية، سنة ٩٦٤

(٢) انظر: المصدر السابق، ص ٨٩، الصاحب الكافي أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني المحيط في اللغة ١٠/ ١٦٣، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط/١، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، تحقيق: محمد حسن ياسين، إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط ١/ ١٠٢، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، د. ت، أبو عبد الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ٨/ ٢٣٣، ٢٣٤، دار مكتبة الهلال، تحقيق: د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامر

ومن معاني الثورة: (الهيج، ثار ثائرة، أي هاج غضبه) [١]، والثائر: (الذي لا يبقى على شيء حتى يدرك ثأره) [٢].

والكلمة لها جذور قرآنية، منها قوله ﷻ: ﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾ سورة الروم، الآية: ٩، وأثاروا هو فعل مشتق من الإثارة، وهي تحريك أجزاء الشيء، فالإثارة: رفع الشيء المستقر، وقلبه بعد استقراره، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ سورة الروم، الآية: ٤٨، أي: تسوقه وتدفعه من مكان إلى مكان، وأطلقت الإثارة هنا على قلب تراب الأرض بجعل ما كان باطناً ظاهراً، وهو الحرث، قال تعالى: ﴿لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ سورة البقرة، الآية: ٧١.

ويجوز أن يكون (أثاروا) تمثيلاً لحال شدة تصرفهم في الأرض، وتغلبهم على من سواهم بحال من يثير ساكناً ويهيجه، ومنه أطلقت الثورة على الخروج عن الجماعة [٣]، لأن فيها نوعاً من الغلبة والنهر، والهياج، والشدة.

يقول أ.د/ محمد عمارة: (الثورة هي التغيير الجذري والمفاجئ في الأوضاع السياسية، والنظم الاجتماعية، والواقع الاقتصادي، بوسائل تخرج عن التدرج المألوف، ولا تخلو عادة من العنف والهياج) [٤].

والثورة في علوم الاجتماع الغربية غير (الإصلاح)، لا بسبب تميز وسائلها العنيفة عن وسائل الإصلاح في التدرج السلمي فقط، وإنما لأن معنى (الإصلاح) في تلك العلوم هو التغيير السطحي غير الجذري، والجزئي غير الشامل، بينما الثورة هي التغيير الجذري والشامل للواقع وللأنساق الفكرية السائدة فيه.

أما في الرؤية الإسلامية والمفهوم العربي فالحال مختلفة، إذ الإصلاح،

---

(١) إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح ٣/ ١٦٩، دار العلم للملايين، بيروت، ط/ ٤، سنة ١٩٩٠م.

(٢) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب ٤/ ٩٧، دار صادر، بيروت، ط/١، د. ت.

(٣) الإمام محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ٢١/ ٥٧، دار سحنون، تونس، سنة ١٩٩٧م.

(٤) مجلة البيان، إصدار الجمعية الشرعية بالقاهرة، العدد الثاني والثمانون، جمادى الأولى، سنة ١٤٣٢هـ/ أبريل سنة ٢٠١١م، ص ١٧، وقد قصر د/ عمارة التعريف على الثورة السياسية، بيد أن الثورات ظاهرة إنسانية، تشمل سائر جوانب الحياة، فهناك الثورة العلمية، وثورة المعلومات، والثورة [illegible]، وهناك ثورة الطبيعة إذا حيف عليها.

أيضاً، تغيير جـــذري وشامل ــ كالثورة تماماً ــ لكنه متميز عنها في أدوات التغيير، إذ في الثورة عنف وهياج وسرعة، لا توجد في الإصلاح، الذي يتم سلمياً وبالتدريج، ولقد وصفت رسالات الرسل عليهم السلام بأنها (إصلاح)، مع أنها كانت التغيير الأشمل والأعمق للواقع وللفكر، الذي بعثوا فيه ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ سورة هود، الآية: ٨٨ [1].

وعلى هذا فالثورة عملية تغيير وإصلاح جذرية في المجتمع، تتعلق بالشكل والمضمون معاً، في جميع أوضاع الناس الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والعلمية، والثقافية، لأنها لا تعيش في قلوب الناس ووجدانهم، وإنما لابد من إحداث التغيير على أرض الواقع، مشاهدة وعياناً وإحساساً، وإن لم يحدث تغيير ملموس بعد الثورة، فذلك وأد لها في مهدها، ومؤامرة على فشلها.

المطلـــب الثانـــي

أبطـــال ثـــور ٢٥ يناير المصريـــة

ولدت الثورة المصرية من رحم الانترنت [2] والفيس بوك [3]، فهو الذي

---

(١) نفس المصدر السابق من نفس الموضع.

(٢) بدأ استخدام الإنترنت في مصر عام ١٩٩٢م.

(٣) وبالإنجليزية FACE book، وهو موقع اجتماعي للتعارف، والمشاركة، وتبادل الأفكار، وهو يشير إلى دفتر ورقي، يحمل صوراً ومعلومات لأفراد في جامعة معينة، أو مجموعة، ومن هنا جاءت تسمية الموقع، ومؤسس الموقع هو مارك زكربيرج، الطالب اليهودي، في جامعـــة هارفارد، أسسه عام ٢٠٠٤م، وخصصـــه في البداية للطلبة في جامعة هارفارد فقط، لكن تم توسعته ــ لاحقاً ــ إلى موقع ذي طابع عام، يعمل على نطاق عالمي، ويصل عدد المشتركين في الموقع عشرات الملايين، ولا يزال العدد يتنامى باستمرار، انظر: د/ شريف كمال، سامي الطرابيشي، كل شيء عن الفيس بوك وثورة الغضب، ص ٥، ٦٥، ٦٦، دار الروضة، القاهرة، ط/١، سنة ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، أما كيف استخدم شباب الثورة فيس بوك؟ فنقول: يعمل فيس بوك ــ كما هو معروف ــ بفكرة التشبيك الأفقي بين ملايين البشر، حيث يستطيع أي شخص إنشاء صفحة أو ملف شخصي، ثم يختار شخصاً أو أشخاصاً آخرين كأصدقاء، ومن ثم يتيح له الموقع تبادل الرسائل التي تظهر على الصفحة الشخصية لكل منهم، وتتضمن هذه الرسائل روابط المواقع والصور وملفات الفيديو والرسائل التي تنشر على الصفحات والمجموعات الخاصة بكل منهم، كما يستطيع المشترك الانضمام إلى المجموعات

فجر شرارتها الأولى، وعلى صفحة التواصل الاجتماعي كانت الدعوة بين الشباب[1] للثورة، التي حررت كنانة الله ــ تعالى ــ مصر، من أيدي فئة، سرقو نها الغالي والنفيس،

والصفحات التي ينشئها الأصدقاء ذات الاهتمام المشترك ورفقاً لهذه الفكرة فإن الشخص يمكنه تحديد مستوى أو نطاق الأشخاص الذين يتعامل معهم كأصدقاء، ويتواصل معهم على مدار اللحظة، ويوفر الموقع خمس مستويات كالتالي:

المستوى الخامس: ويتيح للشخص أن يكون هو فقط من يستطيع رؤية المعلومات التي ينشرها على صفحتك، المستوى الرابع: ويتيح للشخص تحديد الأصدقاء الذين يمكنهم رؤية وتبادل المعلومات التي ينشرها على صفحته، المستوى الثالث: ويتيح لأصدقاء الشخص الذين أضافهم بصورة مباشرة أو قبل دعواتهم للصداقة، رؤية وتبادل المعلومات التي ينشرها على صفحته.

المستوى الثاني: وفيه يوافق الشخص على إتاحة وتبادل المعلومات الخاصة به مع أصدقاء أصدقائه. المستوى الأول: وفيه يوافق الشخص على أن أي شخص على الفيس بوك، يمكنه أن يشاهد ويتبادل معه المعلومات الموجودة على صفحته الشخصية، سواء كان صديقه أم لا.

ومن التحليلات اتضح أن هذه المجموعات والصفحات اختارت المستوى الأول، بكل ما يتيحه من انفتاح كامل لأعضاء المجموعة، أو الصفحة على بعضهم البعض، وعلى الآخرين، وهذا يفسر الشبكة الهائلة من الأعضاء التي ظهرت في التحليل، والتي قدرت بـ ٣٤ مليون مشترك، و ٢٣١٣ صفحة، و ٩٨١٥ مشاركة، و ٤٦١ ألف تعليق، وقد برزت في القلب مجموعتان رئيسيتان هما مجموعة: كلنا خالد سعيد، ومجموعة: شباب ٦ أبريل، وهما مجموعتان شبابيتان، وقد جاءتا في منطقة القلب لاستحواذهما على الجزء الأكبر من الأعضاء والمشاركات والمسئولية عن التخطيط للثورة، والتفكير لها طوال الوقت، ولا أحد يقلل من موقع يوتيوب، فهو الذراع الإعلامي للثورة، وكان أداة لحفظ الروح المعنوية، وشحذ الهمم والدعوة إلى الصبر والثبات، وقد قدم ١٠٦٤ فيلماً، مدتها ٥٧٠٠ دقيقة، شوهدت ٦ ملايين مرة. انظر: مجلة لغة العصر، مجلة الأهرام للكمبيوتر والانترنت والاتصالات ص ١٦، ١٧، ٣٢، العدد: ١٢٣، شهر مارس ٢٠١١م. كذلك لا أحد يقلل من موقع (تويتر)، لأنه ساهم في التواصل بين المتظاهرين، ونقل الأحداث ساعة وقوعها. انظر: على شبكة الانترنت، مذكرة الثورة المصرية، ٢٥ يناير، ثورة الشعب المصري، تاريخ ٤/ ٦/ ٢٠١١م.

(١) آخر تقرير وأحدث الدراسات الصادرة عن مركز المعلومات واتخاذ القرار، أكدت أن نسبة الشباب في مصر، أكبر فئة عمرية من سكانها، فهي تعد من المجموعات الغنية بالشباب، حيث ترتفع بها نسبة الشباب وتبلغ حوالي ٣ر ٣١% (أي ٧ر ٢٢ مليون شاب) بما يشكل حوالي ثلث المجتمع، فمن بين حوالي كل ٣ أفراد في المجتمع يوجد شاب في الفئة العمرية من ١٥ إلى ٢٩ سنة وهذا ما رصده الأطباء ونشر في مجلة طبيبك الخاص ص ١٥، العدد: ٥٠٧، ربيع الآخر سنة ١٤٣٢هـ/ مارس سنة ٢٠١١م، وهذا التقرير يعني أن مصر شابة الآن، يمكن أن [illegible] من الشباب.

وجعلوا المجتمع المصري ينحدر إلى هوة [١] سحيقة، من سوء الأخلاق، وفساد الأوضاع.

وفي يوم الجمعة ٢ مايو سنة ٢٠٠٨م، نشرت جريدة الأهرام المصرية، في الصفحة العاشرة،صورة للموقع الشهير Fac book،على هامش أزمة المواطنة المصرية للشابة (إسراء) [٢] والإضراب الأول لما يسمى حركة ٦ أبريل [٣]، ثم عنواناً ضخماً (مصر التي لا يعرفونها)، وبتصدر التحقيق مقولة لقيادة حزبية مشهورة، تصف شباب الناشطين على الانترنت بأنهم (شوية عيال لاسعة) حسب تعبيره، وإذا تجاهلنا اللغة والصياغة المستخدمة، نزعم أن تلك العبارة تعكس الهوة الواسعة والعميقة، بين جيل من الشيوخ، محكوم بعوامل من الزمن،وجيل جديد في مصر، نشأ وتربى، متأثراً بالثورة الدراماتيكية [٤] في تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات.

هذا الشباب هو الذي أشعل مظاهرات ميدان التحرير، وهم يمثلون الطبقة الوسطى الجديدة، حيث التعليم أكثر تميزاً، ولديهم مهارات توظيف الانترنت، مستغلين كافة منصات تقنية الويب [٥]، لتعبئة وتحريك بقية الشباب على مظاهرات

---

(١) هوى، يهوي، هوياً: سقط إلى أسفل، مختار الصحاح، مادة: هوى، ص ٧٠٣.

(٢) اسمها: إسراء عبد الفتاح مصطفى، فتاة مصرية، تم اعتقالها يوم ٦ أبريل ٢٠٠٨م، بحجة أنها كانت تعبر عن انفعالاتها وخواطرها عبر الانترنت.

(٣) هي حركة سياسية على الفيس بوك، بدأت بالدعوة إلى إضراب ٦ أبريل، بمشاركة بعض الأحزاب والقوى السياسية، وذلك تضامناً مع عمال المحلة الكبرى الذين نظموا إضراباً بهدف الوصول لحل مشكلاتهم في مصنع غزل المحلة، وقامت الحركة بالدعوة إلى إضراب عام في مصر، وتضمنت الدعاية له المواقع الإلكترونية، والرسائل القصيرة على المحمول، وبعض المطبوعات، وقال مؤسسو الحركة من أنفسهم (نحن مجموعة من الشباب المصري لا يجمعنا إلا حب هذا البلد والرغبة في إصلاحه). انظر للزيادة موقع المعرفة على الشبكة العنكبوتية، تاريخ الزيارة ٢/ ٤/ ٢٠١١م.

(٤) تطلق كلمة الدراما: كي على المشهد المثير المتعدد الحركة.

(٥) كلمة ويب = Web = شبكة = شبكة الانترنت. انظر موقع الفريق العربي للبرمجة على الشبكة العنكبوتية.

الغضب، وقد أخذ هذا الجيل منذ سنوات قليلة، يتظاهر افتراضياً على المواقع الاجتماعية، مثل فيس بوك، لعله يلفت الأنظار للأوضاع المتردية في الوطن، وعندما تجاهلته السلطة، وتعالت عليه، نقل مظاهراته الافتراضية إلى الواقع، وأشعل فتيل الغضب بين المصريين [١].

وليس يوماً أنسب للتظاهر مثل يوم عيد الشرطة، فكان موعدهم للاحتجاج يوم الثلاثاء، الموافق ٢٥ يناير ٢٠١١م، فخرج الشباب، وتبعهم آلاف من الشعب، بوحي من الله ــ تعالى ــ [٢] يعبرون عن سخطهم، وغضبهم عن أوضاعهم المتردية، سياسياً، واقتصادياً، وثقافياً، واجتماعياً.

(وكان الهتاف الأول: عيش ــ حرية ــ كرامة إنسانية) [٣]، وقد حاولت الشرطة المصرية، منع هذه المظاهرات، بشتى السبل، مثل القتل [٤]، والغازات المسيلة للدموع، وقنابل الدخان، والضرب، والاعتقال، ولكن الأمر كما يقول القائل:

كناطح صخرة يوماً ليفلقها ... فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل [٥]

وفجأة: ارتفع سقف مطالب الشعب الملتهب، الذي وقع منه جرحى وشهداء [٦].

---

(١) مجلة الهلال، عدد مارس سنة ٢٠١١م، ص ٣١ باختصار.

(٢) مقصودي الوحي بمعنى الإلهام مثل قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ سورة النحل، الآية: ٦٨.

(٣) د/ وحيد عبد المجيد، ثورة ٢٥ يناير، قراءة أولى، ص ٢٧، الناشر: مركز الأهرام للنشر والتوزيع بالقاهرة، ط/١، سنة ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

(٤) ولو أدركوا جريرة قتل النفس بغير حق ما فعلوا، فعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: ﴿أكبر الكبائر الإشراك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وقول الزور﴾ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الديات، باب: قول الله: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ سورة المائدة، الآية: ٣٢، ٦/ ٢٥١٩، رقم: ٦٤٧٧، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط/ ٣، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا.

(٥) ديوان الأعشى ٨/ ١٦٦، بلون بيانات.

(٦) أعلنت لجنة التحقيق وتقصي الحقائق، بشأن الأحداث التي واكبت الثورة أن أعداد الضحايا بلغت نحو (٨٤٦) حالة وفاة، وأكثر من (٦٦٠٠) مصاباً على الأقل، جريدة المصري اليوم، الأربعاء ٢٠ أبريل ٢٠١١م ــ ١٧ جمادى الأولى ١٤٣٢هـ، ص ١.

إلى هتاف (الشعب يريد إسقاط النظام) [١]، كان القوم يرددون (سلمية، سلمية)، فلا سلاح معنا، ولا ذراع لنا، غير أنهم لما قوبلوا بتلك الوحشية ضراوة [٢] من رجال الشرطة، ارتفعت همتهم إلى أنه لا مناص من رحيل النظام، ونحن صامدون بميدان التحرير، حتى يرحل، وتصاعدت الاحتجاجات في اليوم الثاني والثالث (الأربعاء والخميس).

جمعـــة الغضـــب ٢٨ ينايـــــر:

(دعت القوى الشعبية إلى "جمعة الغضب"، بعد الخروج من المساجد، ودعت الأقباط للتجمع في الكنائس، ثم الخروج في وقت واحد، وفي صباح هذا اليوم أصدرت وزارة الاتصالات أمراً بوقف خدمة الانترنت [٣] والرسائل القصيرة (sms)، والاتصال عبر الهواتف المحمولة في جميع أنحاء الجمهورية المصرية، وبعد الصلاة بدأت تظاهرات شعبية واسعة في عدد من المدن المصرية، فخرج مئات الآلاف في القاهرة، والإسكندرية، والسويس، والمنصورة، والإسماعيلية، ودمياط، والفيوم، والمنيا، ودمنهور، والشرقية، وبورسعيد، وشمال سيناء) [٤]

---

(١) وهذا يذكرنا بما حدث في غزوة بدر، من أحداث السنة الثانية من الهجرة، إذ خرج المسلمون بقصد الاستيلاء على العير، ولكن الله تعالى أراد غنيمة أكبر، ونصراً أعظم، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ ﴾ سورة الأنفال، الآية: ٧.

(٢) أي تمرّد، وكلب ضارٍ، وكلبة ضارية، وأضراه صاحبه: عوّده، انظر: مختار الصحاح، مادة: ضرى، ص ٣٨٠.

(٣) في صبيحة يوم الخامس من فبراير أصدرت منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية بياناً مقتضباً قدرت فيه خسائر الاقتصاد المصري الناجمة من قطع الانترنت خلال الأيام الخمس الأولى للثورة بحوالي ٩٠ مليون دولار (حوالي نصف مليار جنيه)، مجلة لغة العصر، ص ٥٤، مصدر سابق.

(٤) مجلة عيون المستقبل، العدد الثامن والأربعون، مارس ٢٠١١م، ص ٢١، حسين عبد الواحد، ثورة مصر، ص ١٣، مطبعة أخبار اليوم، قطاع الثقافة، بدون.

وعجزت الشرطة عن احتواء المظاهرات، فازدادت ثقة الثائر في أنفسهم، ويقيناً في خروجهم، ومضاء في عزيمتهم، وشرعية في انتفاضتهم، وتواصلت المظاهرات في المحافظات، بخروج مئات الآلاف إلى الميادين الرئيسة، وعلى الرغم من تقديم النظام لبعض التنازلات، غير أن الشعب كان أشد صموداً، وأكثر عناداً، وأقوى بأساً، وأعلى همة، فلن يثنيهم عن مطالبهم شيء، سوى رحيل رأس النظام.

موقعـــة الجمـــــــل:

إلى أن جاء يوم الأربعاء الدامي (٢ فبراير)، الذي صهر أي بوادر للأمل، في عودة الثائرين إلى منازلهم، والكف عن مطالبهم، حيث وقعت في هذا اليوم، موقعة الجمل، كما اتفقت على ذلك تسميتها وسائل الإعلام، ففوجئ المعتصمون بميدان التحرير، بجحافل من البغال والخيل والإبل، تقتحم الميدان، وتهاجم المعتصمين، ولكن الله ــ وحده ــ ثبتهم، وألقى عليهم سكينته، فتصدوا لهؤلاء الحمقى، وألقوا القبض على بعض ممتطي تلك الحيوانات، فهزم الكمبيوتر، الصغير الحجم، الجمل الكبير الضخم، في معركة من أكثر المعارك بُهتاً [1] وغرابة، لتشهد الدنيا، بأي عقل يفكر النظام وقادته، وبأي شيء فجر الشباب ثورتهم، ومن ثم فلا يصلح حكم هؤلاء لأولئك، بظهور شيخوختهم الذهنية والفكرية.

وتوالت أيام الإصرار، والاعتصامات، والدعوات المليونية، وتزايدت الأعداد تزايداً ملحوظاً في سائر ميادين الجمهورية، حتى جاء يوم جمعة التحدي، ١١ فبراير، وقد أدى صلاة الجمعة بميدان التحرير، ما يربو على المليون، وفي تمام الساعة السادسة مساء، تم الإعلان عن تنحي الرئيس من منصبه، وتسليم مهام منصبه، كاملة إلى القوات المسلحة، بعد مرور ١٨ يوماً، فعمت الفرحة القلوب، واعتلت البسمة الوجوه، وانقشعت الغمة، وزال الكرب، وتنفس الناس الصعداء.

---

(١) بهت: بفتح الباء وكسر الهاء، بوزن علم، أي دهش وتحير، وبُهت بضم الهاء بوزن ظرف مثله، وأفصح منهما (بُهِت)، كما قال الله تعالى: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ سورة البقرة، الآية: ٢٥٨، انظر: مختار الصحاح، مادة: بهت، ص ٦٦.

(وفي استطلاع بتمويل من المعهد الجمهوري الدولي والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية، توصلت دراسة أمريكية إلى أن معظم المصريين الذين ساندوا الثورة على النظام السابق أقدموا على الأمر بسبب أوضاعهم الاقتصادية الضعيفة بالأساس أكثر من توقهم للديمقراطية، وكانت النسبة ٦٤% من هؤلاء، وأشار ١٩% إلى مساندتهم الثورة بسبب غياب الديمقراطية، في الوقت نفسه لم يعارض الثورة من الأساس سوى ٦% من مجموع الشعب المصري، وشارك في المظاهرات ٧٢% مشاركة فعلية) (١).

المطلب الثالث

الدعاة ودورهم في الثورة

لم يكن الدعاة إلى الله ـ تعالى ـ في مصر بعيدين عن الثورة المصرية المباركة، بل كانوا بفضل الله ـ تعالى ـ في القلب منها، فمنذ اليوم الأول للثورة كانت العمائم تزين صور الثوار، وعلى المنابر قام عدد من الدعاة المجاهدين بشحذ الهمم، والدعوة إلى الإصلاح، والجهر بكلمة الحق، والمشاركة في التظاهرات.

في ميدان التحرير وفي غيره من الميادين، كنت ترى الدعاة بزيهم الأزهري، كان بعضهم يخطب في الثوار محرضاً، أو يهتف محمساً، أو يطوف باللافتات والشعارات قائداً، أو محمولاً على الأعناق، منادياً بسقوط النظام.

وتلكم قائمة شرف لعلماء ودعاة شاركوا في الثورة بقلوبهم وألسنتهم وأيديهم، وذلكم أقوى الإيمان، لم تحفل قوائم شرف الثورة بهؤلاء العلماء والدعاة لمجرد مشاركتهم فيها، ولأنهم كانوا وقود الشعب الحر الثائر فحسب، بل لأنهم ضربوا أمثلة خالدة على دور العلم في توعية الناس، وترشيد قوتهم، وساروا على درب السلف الصالح، الذين كانوا رهباناً في الليل، فرساناً في النهار، علموا الأمة الإسلامية أن العالم مكانه المسجد، والشارع، وميدان الجهاد، وأن الإسلام لا ينفصل بحال عن واقع الناس وآمالهم وآلامهم.

---

(١) جريدة الأهرام المصرية، عدد الاثنين، ٤ من رجب سنة ١٤٣٢هـ/ ٦ من يونيو سنة ٢٠١١م.

وتلك سطور خططناها، فطالت بعض هذه السطور في وصف رجال منهم على قدر ما عرفنا عنهم، وقصرت سطور أخرى عن آخرين، لعل الله أراد أن نعلم عنهم القليل ليجزيهم الكثير، وهناك من الدعاة بلا شك جهلهم الناس، وعرفهم رب الناس، فذلك غيض من فيض، وقليل من كثيرٍ في حق علمائنا ودعاتنا، حفظهم الله لمصر والأمة.

ـ د/ يوسف القرضاوي، إمام الثوار:

لم ينفصل العلامة الدكتور/ يوسف القرضاوي عن قضايا وطنه وأمته، فقد هب على كبر سنه يبارك الثورة التونسية، ومن بعدها الثورة المصرية، ووصفها بـ (الانتفاضة المباركة للشعب المصري) وأفتى صراحة بأن (النزول إلى الشارع للمشاركة في الاحتجاجات واجب شرعي على كل قادر على الوصول إلى أماكن التجمع، وليس له عذر يمنعه) (١).

الشيخ/ محمد عبد المقصود، قعيد نهض بالحق:

(نعم يجوز لك أن تكون مع هؤلاء الذين يقومون بالمظاهرات، وليس هذا من باب الخروج على الحاكم، يجوز لك أن تدعم إخوانك الذين هبوا لرفع الظلم، قواعد الشرع، وقواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تدل على أنه ينبغي أن يعان كل من سعى في إقامة معروف أو إزالة منكر، حتى وإن كان ظالماً فاسقاً، لأننا ندخل جميعاً تحت قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ سورة المائدة، الآية: ٢) (٢).

هكذا صدع أحد أقطاب شيوخ السلفيين الشيخ/ محمد عبد المقصود، منذ البداية بالحق، داعياً شباب الدعوة السلفية إلى مناصرة الثورة.

---

(١) انظر: مجلة الرسالة، إصدار مركز الإعلام العربي، عدد رجب ١٤٣٢هـ/ يونيو ٢٠١١م، ص ٧٢، ٧٣، ١٢٠ باختصار، وفتوى الشيخ قالها في مداخلة عبر قناة الجزيرة الفضائية، تغطية يوم ٢/ ٢/ ٢٠١١م.

(٢) مجلة الرسالة، العدد السابق، ص ٧٤، وانظر: تفريغ لفتوى الشيخ/ محمد عبد المقصود عن حكم المظاهرات السلمية على الشبكة العنكبوتية، منتديات منهج الإسلام.

لم يكتف هذا الشيخ بالقول، وذهب على كرسي متحرك في مرضه الشديد إلى ميدان التحرير، يوم جمعة الغضب ٢٠١١/١/٢٨م، ليقول: خرجنا لنغير المنكر بألسنتنا،وهذا ما نستطيع.

ورغم مرض الشيخ، كان يبيت والشيخ/ فوزي السعيد، أحد كبار السلفيين يومياً مع المعتصمين، كما كان الاثنان من بين الموقعين على بيان (الهيئة الشرعية لحماية الحقوق والحريات) الذي يكفل حق الثوار في احتجاجاتهم السلمية، ويعتبر قتلاهم من أهل الإيمان شهداء.

ـ د/ جمال عبد الهادي، أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة أم القرى:

لا تندهش إذا رأيت هذا الشيخ الكبير سناً ومقاماً، يبيت وسط المتظاهرين في ميدان التحرير، يبث الروح في الثوار، مؤكداً أن الاستمرار في المظاهرات هو رباط في سبيل الله، وطمأن الشباب إلى أن ثورتهم شرعية، وليست خروجاً على الحاكم.

إنه جهاد باللسان لا يملك الشباب غيره، كما يقول الشيخ، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر.

ـ الشيخ/ صفـــوت حجـــــازي:

يفخر الشيخ:/ صفوت حجازي بأنه من علماء الشوارع، لا علماء الصوامع، كما يصف الدعاة (حجازي) بأنه بطل هذه الثورة، إذ لعب ببراعة أدوار الزعيم، والقائد العسكري، والمراسل الصحفي، إضافة إلى دوري الفقيه والداعية، بالميدان.

وقف الشيخ في الميدان يهتف: تحيا مصر، بلادي، بلادي، لك حبي وفؤادي، وثورتنا ثورة شعبية، ويردد وراءه الشباب، دون أن يهدأ، حتى بُحَّ صوت الشيخ، وبوعي فائق يؤكد الشيخ من خلال إذاعة الميدان، أن الثورة شعبية، يشترك فيها المسلم والمسيحي، قائلاً: سأحكي لكم ما حدث معي ليلة أمس قبيل صلاة الفجر.

لقد جاءني أربعة شباب وقالوا: لقد فاتت صلاة الفجر يا شيخ فتوضأت ودعوتهم للصلاة، فقالوا: نحن نصارى [١].

وتأتي ما عرفت بموقعة الجمل التي شن فيها بلطجية النظام السابق حرباً بالجمال على المتظاهرين، صبيحة (٢ فبراير)، ويدرك الشيخ أن دور القائد بات ملحاً في هذا اليوم الحاسم من أيام الثورة، فصف الشيخ صفوف الشباب، ودافع ببسالة عن الميدان، إلى حد أن المتظاهرين هناك لا ينكرون أن دوره كان حاسماً في الانتصار في هذه المعركة، وتجاوز الأربعاء الدامي.

ثم رد الشيخ على فتوى الشيخ/ عبد العزيز آل الشيخ ــ مفتي المملكة العربية السعودية ــ بتحريم الاحتجاجات في مصر وتونس [٢] قائلاً: إن آل الشيخ مفتي المملكة، والفتوى تلزمه وحده، في إشارة إلى أن الفتوى تتطلب مراعاة الواقع.

كما قال الداعية في اتصال هاتفي مع صحيفة الشروق: إن ما يقوم به الشعب المصري وقبله التونسي هو تقويم للحاكم، من باب قوله كلمة الحق عند سلطان جائر، ومن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس خروجاً على الحاكم [٣].

ــ الداعيــة الطبيب د/ راغــب السرجانـــي:

كداعية وكاتب إسلامي مهتم بقضايا الأمة، كان حضور الدكتور/ راغب، لافتاً

---

(١) صحيفة فجر الحرية، ٢٥ يناير، مقال /: علي الغريب، من جمعة الغضب إلى جمعة الرحيل، ١٥ يونيو ٢٠١١م.

(٢) أصدرت هيئة كبار العلماء في السعودية بياناً، اعتبرت التظاهرات محرمة، وقال الشيخ/ عبد الله العيثم، قاضي الاستئناف بمكة المكرمة: إن الأحكام القضائية في مثل هذه القضايا هي السجن والجلد تعزيراً. انظر: مجلة الدستور، عدد الاثنين، ٩ ربيع الآخر ١٤٣٢هـ/ ١٤ مارس ٢٠١١م، ص ٩.

(٣) الشبكة العنكبوتية، موقع الشروق أون لاين، مقال: علماء الأمة يردون على المفتي العام للسعودية، تاريخ ٧/ ٢/ ٢٠١١م، مجلة الرسالة، العدد السابق، ص ٧٥ ــ ٧٦.

ومدهشاً، حينما أخبر الناس أن ما تشهده مصر من مطالبات بالتغيير، قد يشكل البداية لتحرير الأراضي الفلسطينية من قبضة الاحتلال الإسرائيلي.

قال للشباب المعتصمين: (إن الله ــ تبارك وتعالى ــ أعظم وأكرم، وسيعطيكم هذا المطلب وأكثر منه، لتصبح مصر، رأس حربة في صدر أعداء الأمة في كل ربوعها).

وقال أيضاً لهم: (ولا تستبعدوا والله أن يكون تحرير فلسطين منطلقاً من هذا الميدان) وهنا تعالت أصوات الشباب، وأخذوا يرددون (يارب).

وطلب من المتظاهرين إخلاص النية في عملهم (لا تبدلوا نياتكم في أثناء هذا العمل، قد تبدؤون بعمل صالح، ثم تتغير النوايا مع مرور الوقت).

واستطرد قائلاً: (لا نقاتلهم حقداً أو غلاً، وإنما نقاتلهم نصرة لدين الله، وإحقاقاً للحق، وأمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر، وتكريساً للحرية في هذا البلد وجميع البلدان الإسلامية) ثم حمله المتظاهرون، وهو يردد (الله أكبر) (١).

ــ محمد رفاعة الطهطاوي:

المتحدث باسم الأزهر الشريف، خشي أن يحرج موقفه المؤيد للثورة المؤسسة الرسمية التي يشغل منصب المتحدث باسمها، فتقدم باستقالته، حتى لا يكون عائقاً أمام أن يصدع بكلمة الحق، وينحاز إلى الثورة، وقرر التواجد ليل نهار في الميدان، مثله مثل باقي أفراد الشعب الثائرين.

ــ د/ صلاح سلطان: أستاذ الشريعة بكلية دار العلوم ــ جامعة القاهرة ــ:

كان الشيخ خارج البلاد، إلا أنه حرص على العودة إلى مصر، وتوجه إلى الميدان، خطيباً وملهباً لحماسة الشباب، وأكد "سلطان" للشباب أنهم لا محالة

(١) مجلة الرسالة، العدد السابق، ص ٧٧ باختصار، وانظر: كلمة الدكتور/ راغب السرجاني من ميدان التحرير للمتظاهرين على موقع إخوان تيوب الإخواني، تيوب الإخوان المسلمين.

منتصرون، إذا ما استقووا بالله ــ تعالى ــ (فأنتم بالله ﷻ أقوى) (١).

الدكتـــور/ مظهـــر شاهـــين:

إمام مسجد عمر مكرم، ولقب بخطيب الثورة، فكان يخطب بالمعتصمين من يوم الجمعة الموافق: ٤ فبراير، أي أن الثورة كانت في حرارتها.

وفتح الشيخ/ مظهر دار المناسبات الخاصة بمسجد عمر مكرم للمعتصمين بالميدان، على مسئوليته الخاصة.

وتمتاز خطبه بأنها تلهب المشاعر، وتحرك النفوس، وتؤثر في القلوب.

وكم ثبّت في الميدان من متردد؟، فجزاه الله خير الجزاء.

ولم يقتصر الأمر على دعاة القاهرة، بل كان الكثير من الدعاة في مختلف المحافظات يقومون بالدور نفسه.

وكان لبعض الدعاة جهد واضح في تشكيل اللجان الشعبية، التي حرست البيوت، والمنشآت، والممتلكات الخاصة والعامة، وتنظيم المرور، وتأمين وصول بعض الأغذية والأدوية للثوار، حيث لبى الشباب النداء الذي خرج من المساجد لتشكيل هذه اللجان مع الشيوخ والرجال.

كما تحولت بعض المساجد ــ بجهود الدعاة ــ إلى مراكز لتجميع الممتلكات والسلع والبضائع التي نهبها اللصوص، ونجحت اللجان في إستنقاذها وتسليمها لأصحابها من المساجد (٢).

ومما سبق يتضح لنا مشاركة الدعاة في الثورة، بأنفسهم وأموالهم، لأنهم عدوها نوعاً من أنواع الجهاد في سبيل الله ضد الطغيان والظلم، وما كان لداعية صادق أن يتخلف عن ذلك وإلا صار من الدعاة المتقاعسين عن أداء دورهم

---

(١) مقال: محمد البطاوي، الثورة المصرية رفعت شيوخاً، الشبكة العنكبوتية، شبكة أنا المسلم، تاريخ ١٧/ ٦/ ٢٠١١م.

(٢) انظر: مجلة الرسالة، إصدار مركز الإعلام العربي، عدد رجب ١٤٣٢هـ/ يونيو ٢٠١١م،ص ١٢٠.

وواجبهم في وقت كان الشعب فيه في مسيس الحاجة إليهم، فكيف ينفر الناس بجميع طوائفهم لرفع الظلم، ثم يختفي الدعاة؟!!!

المبحث الثاني

أخلاق الثوار في ميدان التحرير

وكيفية الإفادة منها في مجال الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ

تمهيد:

أراد الشعب المصري الأبي تغييراً سياسياً حقيقياً على أرض وطنه، فتفجرت ينابيع الثورة من بين فرث ودم، ولكن لن يكتمل التغيير السياسي، ويقدر له أن ينجح نجاحاً عظيماً، إلا إذا كان المعتصمون قد أقاموا في قلوبهم ثورة أخرى، أهم وأجدى، وأهدى سبيلاً، وأقوم طريقاً، هي الثورة الأخلاقية والسلوكية، التي من أجلها اختزل النبي ﷺ رسالته ودعوته، فقال ﷺ: ﴿إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق﴾[1].

ولله در الرافعي (ت ١٩٣٧م) في قوله: (لو إني سئلت أن أجمل فلسفة الدين الإسلامي كلها في لفظين لقلت: إنها ثبات الأخلاق، ولو سئل أكبر فلاسفة الدنيا أن يوجز علاج الإنسانية كلها في حرفين لما زاد على القول: إنه ثبات الأخلاق، ولو اجتمع كل علماء أوربا، ليدرسوا المدنية الأوربية ويحصروا ما يعوزها في كلمتين لقالوا: ثبات الأخلاق، فليس ينتظر العالم أنبياء ولا فلاسفة ولا مصلحين ولا علماء يبدعون له بدعاً جديداً، وإنما هو يترقب من يستطيع أن يفسر له الإسلام هذا التفسير)[2].

ويبدو أن الثائرين في ميدان التحرير، تحققوا من أن ثورتهم لن تنجح،

---

(١) رواه أحمد في مسنده ٢/ ٣٨١، رقم: ٨٩٣٩، مؤسسة قرطبة، مصر، بدون، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، انظر: الإمام علي بن أبي بكر الهيثمي، بحب الزوائد ومنبع الفوائد ٨/ ١٨٨، دار الريان للتراث، القاهرة، سنة ١٤٠٧هـ. وقال الهيثمي ورواه البزار، إلا أنه قال: لأتمم مكارم الأخلاق، ورجاله كذلك غير محمد بن رزق الله الكلوذاني، وهو ثقة، انظر: نفس المصدر ٩/ ١٥.

(٢) مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم ٢/ ٦٢، مكتبة جزيرة الورد بالقاهرة، ط/١، تحقيق: سعد كريم الفقي، بدون تاريخ.

وخطواتهم لن تفلح، وخروجهم من منازلهم لن يجدي، ما لم تسر فيما بينهم الأخلاق الحميدة، والخصال الكريمة، لأنهم في الميدان تعارفوا، أي: عرف بعضهم بعضاً، أنهم يريدون هدفاً واحداً، ولهم آمال متسقة.

والاتفاق على الأهداف والآمال، عامل كبير من عوامل انتشار الأخلاق الحسنة فيما بين أصحاب الهدف الواحد، ذلك لأن الإحساس بالحق، يتولد عليه الإحساس بالواجب.

وفي هذا المبحث معالجة عجلي للأخلاقيات النبيلة التي كان متلبساً بها من كان معتصماً بميدان التحرير، لتبين كيف كانوا نماذج عليا، ومُثُلاً فذة في الترابط والمحبة والأخوة والإحسان إلى الغير، وأردت بذلك ربط أخلاقهم بدلائل وشواهد من الكتاب والسنة، طالت حيناً، وقصرت حيناً، بحسب توفيق الله ﷻ وفضله وفتحه، حريصاً مع ذلك على أمر الدعوة، فوضحت آلية استفادة الدعاة منها في مجال دعوتهم، والله المستعان، وعليه التكلان.

المطلب الأول

عبقرية التخطيط

لا أعتقد بأي حال أبداً، اختيار الثائرين لميدان التحرير، أن يكون قبلة لاحتجاجاتهم، أتى جزافاً، أو مصادفة.

وإنما يقيني أن اختيار الميدان جاء بعد تخطيط وروية، ودراسة وتفكير، فالميدان المختار، له بعد جغرافي، وآخر تاريخي.

والبعد التاريخي، أن هذا الميدان إسمي في بدلية إنشائه باسم ميدان الإسماعيلية، نسبة للخديوي إسماعيل [1]، ثم تغير الاسم إلى ميدان التحرير، نسبة إلى التحرر من الاستعمار في ثورة ١٩١٩م، ثم ترسخ الاسم رسمياً في ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢م.

---

(١) هو إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي الكبير، خديوي مصر، وهو أول من أطلق عليه لقب (الخديوية) من رجال أسرته، ولي مصر سنة ١٢٧٩هـ، وتوفي سنة ١٣١٢هـ، انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام ١/ ٣٠٨، دار العلم للملايين، ط/٥، سنة ١٩٨٠م.

رمز ميدان التحرير إلى حرية الشعوب وصمودها، أيضاً، حين شهد عدة مواجهات بين المحتجين والقوات الأمنية، منها أحداث ثورة الخبز في ١٨، ١٩ من يناير عام ١٩٧٧م، والتي كانت في عهد الرئيس الراحل/ محمد أنور السادات [١]، رداً على ارتفاع ثمن الخبز [٢].

أما عن البعد الجغرافي، فإن ميدان التحرير (هو أكبر ميادين مدينة القاهرة في مصر، ويعتبر من الميادين القليلة في القاهرة، ذات التخطيط الجيد الفريد، إذ يتفرع منه على شكل شعاع وإليه عدد ليس بالقليل، من أهم شوارع وميادين العاصمة المصرية القاهرة [٣]، وأيضاً توجد به العديد من الأماكن الشهيرة، مثل مقر جامعة الدول العربية، ومجمع المصالح الحكومية (مجمع التحرير)، والمتحف المصري، ومبنى فندق (النيل هيلتون) العريق، وغير ذلك [٤].

وطوال أحداث الثورة المجيدة، استحق ميدان التحرير ما لقبه به الكثيرون (دولة ميدان التحرير)، فكان بمثابة دويلة داخل الدولة مصر.

قاد المعتصمون تلك الدولة باقتدار، فحددوا حدودها التي هي مداخل ومخارج الميدان، ونظموا أنفسهم لجبهات دفاع ضد أي اعتداء من البلطجية والمأجورين، لإفساد سلمية تظاهرهم، وكانت هناك لجان مهمتها تفتيش الداخلين، وشكلوا جهازاً إدارياً لإدارة الخدمات العامة والأساسية، مثل نظافة الميدان، والأمن الداخلي، الغذاء، الصحة، الإعلام، فأنشأوا إذاعة للثورة، تتحدث باسمهم، وتذيع

---

(١) الرئيس الثالث لجمهورية مصر العربية، وقائد حرب أكتوبر المجيدة سنة ١٩٧٣م، واغتيل عام ١٩٨١م.

(٢) حسين عبد الواحد، ثورة مصر، ص ٨٥ باختصار، مرجع سابق.

(٣) مثل شارع القصر العيني الذي يضم مقراً لتسع وزارات مصرية، أيضاً مجلس الشعب والشورى، وميدان محمد فريد، وميدان طلعت حرب، وميدان الشهيد عبد المنعم رياض، وشارع طلعت حرب، وغير ذلك.

(٤) ثورة مصر، ص ٨٥، ٨٦، ٨٧ باختصار شديد، مرجع سابق.

الأغاني الوطنية باستمرار [١].

ومن رغب من الشعراء إلقاء قصيدة حماسية فعل، حتى كان منهم من ألقى قصيدة، تحت المطر، تعبيراً عن موقفه المؤيد لثورة الشباب وانتفاضتهم [٢].

كذلك كان من العجائب، ما فوجئ به المعتصمون من إعلان عن حفل زواج لاثنين من المعتصمين، وبعد أن أعلن المأذون عقد القران، التف الآلاف حول العروسين لتهنئتهما، وقالت الزوجة: (قررنا عقد القران بميدان التحرير، لنكون وسط صناع الثورة، وهم أفضل من نحتفل معهم بزواجنا) [٣].

كل ذلك ليعطي للميدان بهجة وضياءً، وليرفع عن المعتصمين كاهل الملل، الذي ربما يكون قد أصاب الواحد منهم في لحظة ما، وليجنب سائر الناس إليهم من كل فج عميق.

وإن هذا لمن التخطيط المحمود، الذي يثمر النتائج الجميلة، وكان وعد ربي حقاً.

وبنظرة فاحصة إلى تلك المعاني الجليلة السابقة، يلاحظ حاجة الناس إليها في حياتهم، ومن ثم فلابد للدعاة من توضيح أهميتها.

فالتخطيط الدقيق كان من أهم الأسباب التي استخدمها نبي الله ـ يوسف ـ عليه السلام، حتى تمر مصر بسلام، من السنوات السبع العجاف [٤]، التي مرت بها، حيث (نصح يوسف الملك بأن يبدأ تخطيطاً صارماً لجمع الطعام وخزنه، لمواجهة سنوات القحط، وأفهم الملك أن المجاعة ستعم مصر وما حولها من الديار، وينبغي أن تستعد مصر لمواجهة الموقف بالنسبة لها وغيرها من البلاد المحيطة بها) [٥].

---

(١) جريدة الأهرام الإلكترونية ١٢/ ٢/ ٢٠١١م.

(٢) جريدة الأخبار المصرية ٢١/ ٢/ ٢٠١١م، ص ١٠.

(٣) السيد عبد الفتاح، ثورة التحرير، ص ١٨٠، دار الحياة، بدون طبعة وتاريخ.

(٤) انظر من سورة يوسف، الآيات: ٤٧، ٤٨، ٤٩.

(٥) أحمد بحت، أنبياء الله، ص ١٤٢، دار الشروق، ط/٦، سنة ١٩٧٩م.

وكان التخطيط المحكم من رسول الله ﷺ يوم هجرته، بعد عناية الله ـ تعالى ـ من الأسباب التي أدت إلى نجاح الهجرة، دون وقوع خسائر، وعلى الدعاة إلى الله ﷻ، الترحيب بالأفكار الجميلة، والأخذ بها، دون كبر أو تعالٍ، مادامت تخدم الإسلام، فعندما تحرك رسول الله ﷺ بجيشه يوم بدر، ليسبق المشركين إلى ماء بدر، ويحول بينهم وبين الاستيلاء عليه، نزل عشاءً أدنى ماء من مياه بدر، وهنا قام الحباب بن المنذر [1] ﷺ كخبير عسكري، وقال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة، قال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم ـ قريش ـ فننزله، ونغور ـ أي تخرب ـ ما وراءه من القلب [2]، ثم نبني عليه حوضاً، فنملأه ماءً، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله: لقد أشرت بالرأي، فنهض رسول الله ﷺ بالجيش، حتى أتى أقرب ماء من العدو، فنزل عليه شطر الليل، ثم صنعوا الحياض، وغوروا ما عداها من القلب [3].

وبهذا سبق المسلمون إلى أهم المراكز العسكرية، قبل أن يسبق إليها أعداؤهم، فانتصر المسلمون (صحيح أن النصر بيد الله ﷻ يؤتيه من يشاء، ولكن الله ـ تعالى ـ لا يرضى لدعوته أن تكون تجمعاً من المتواكلين، وتشرذماً من القاعدين، وأن تعمل الحركات المعادية لدينها ولالتحام صفها خيراً مما تفعله الحركة الإسلامية في ذلك.

والصف المؤمن المتراص الموحد اليقظ، المبادر المدؤوب هو الذي تتحقق

---

(١) هو الحباب بن المنذر بن الجموح، الأنصاري الخزرجي السلمي، ويقال له ذو الرأي من أجل رأيه يوم بدر، ت سنة ٢٣هـ، انظر: لأبي الفداء الحافظ ابن كثير البداية والنهاية ٧/ ١٤٧، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/٣، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، تحقيق: د/ أحمد أبو ملحم وآخرون.

(٢) مفردها: القليب، وهي البئر قبل أن تطوى يعني قبل أن تبنى بالحجارة ونحوها، وقال أبو عبيدة: هي البئر العادية. انظر: مختار الصحاح، ص ٥٤٧، مادة: قلب.

(٣) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص ٢٠١، مكتبة الإيمان، القاهرة، ط/١، سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

فيه مواصفات النصر، من الله ﷻ، أما أن نتغافل عن كل شيء، ثم نقول: لماذا لا ينصرنا الله، ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ سورة آل عمران، الآية: ١٣٧) (١).

ألا إن أحوج الخلق إلى التخطيط الدقيق هم الدعاة، لأن الدعاة إلى الله ـ تعالى ـ هم أصحاب رسالة، والشخص الذي نجح في وضع رسالته ورؤيته في الحياة، واختار الدعوة، لابد أن يحول هذه الرؤية إلى أهداف واضحة، ثم يضع خطة محكمة لتنفيذ هذه الأهداف، وذلك لأنه يريد أن يتوجه بكل قوته نحو هدفه مباشرة، ويريد الوصول بأسرع وقت ممكن، ولا يكون ذلك إلا بالتخطيط لهذه الجهود قبل عملها، وكما يقول "براين تريسي" (٢): كل دقيقة تقضيها في التخطيط، توفر لك ١٠ دقائق في التنفيذ وهذا يعطيك ١٠٠٠% من العائد المستثمر من بذل الطاقة.

ولذلك فالتخطيط هو خير معين لك للنجاح في الوصول إلى أهدافك، وكما تقول الحكمة: (ليس تحديد الهدف هو أهم ما في الأمر، الأهم هو خطة السعي وراء تحقيقه، والالتزام بهذه الخطة)، بل هو أساس النجاح (إذا فشلت في التخطيط فقد خططت للفشل).

إن التخطيط يقسم حياتك إلى مراحل ومحطات، تقف عند كل مرحلة منها لتراجع نفسك وتقيمها، ويعينك على ترتيب الأولويات، ويجعلك تقسم وقتك على وفق هذه الأولويات، وبدون التخطيط تصبح الحياة ضرباً من العبث، وضياع الوقت سدى، إذ تعم الفوضى، والارتجالية، ويصبح الوصول إلى الهدف بعيد المنال (٣).

وفي خلال انعدام التخطيط ستجد من الدعاة من يدعو إلى الشكل قبل

---

(١) منير محمد الغضبان، المنهج الحركي للسيرة النبوية، ص ٤٠٢، مكتبة المنار، الأردن، ط/٨، سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

(٢) مستشار وكاتب ومحاضر، صاحب محاضرات صوتية في مجال النجاح في عالم الأعمال، هي الأكثر استماعاً إليها على مستوى العالم، وهو كندي الأصل من مواليد عام ١٩٤٤م.

(٣) حاجتنا إلى التخطيط، مركز مفكرة الإسلام ٢٣/ ٦/ ٢٠١١م.

الموضوع، وإلى النافلة قبل الفريضة، وإلى الحكم الفرعي قبل القاعدة الكلية، وإلى ما فيه خلاف إلى قبل ما لا خلاف فيه) (١).

أما فكرة إعداد لجان، عملها تفتيش من يدخل الميدان، حذراً من أن يندس فيهم المروعون، فهذا هو مبدأ الأخذ بالحذر.

هذا المبدأ من مبادئ الإسلام، ولابد للدعاة من الأخذ به، ويتحدث كتاب الله ــ تعالى ــ عن الحذر من العدو الباغي الطاغي، فيقول ﷻ في سورة النساء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ ﴾، الآية: ٧١. ومعنى خذوا حذركم: من عدوكم، أي: احترزوا منه، وتيقظوا له (٢)، وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ سورة النساء، الآية: ١٠٢، وهذه وصية بالحذر، ودليل على تعاطي الأسباب، واتخاذ كل ما ينجي ذوي الألباب، ويوصل إلى السلامة (٣)، وفي غزوة ذات الرقاع، التي كانت سنة أربع من الهجرة، قال ﷺ لأصحابه: بعد أن نزل منزلاً، وهو قافل من الغزوة: (من رجل يكلؤنا ليلتنا هذه) (٤).

الدعـــاة والتـــوريـــــة:

من الأخذ بالحيطة والحذر والتيقظ، أن يستعمل الدعاة التورية ــ أحياناً ــ

---

(١) الإمام محمد الغزالي، جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج، ص ١٣، مكتبة نهضة مصر، يناير ٢٠٠٥م.

(٢) جلال الدين السيوطي، وجلال الدين المحلي، تفسير الجلالين، ص ٩٦، مطبعة الأنوار المحمدية، القاهرة، تحقيق: محمد الصادق القمحاوي.

(٣) الإمام القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٣٧٢، دار الشعب، القاهرة، بدون.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية ٣/ ١٠١، ١٠٢، دار الفكر العربي، تحقيق: د/ محمد فهمي السرجاني.

في نصرة الحق، (وورد عن رسول الله ﷺ أنه قلما يريد غزوة يغزوها إلا ورّى بغيرها) [١].

والتورية: الستر، يقال منه: وريت الخبر، أوريه توريةً ـ إذا سترته، وأظهرت غيره [٢].

يقول النووي (ت ٦٧٦هـ): (ومعنى التورية: أن يقصد بعبارته مقصوداً صحيحاً، ليس هو كاذباً بالنسبة إليه،وإن كان كاذباً في ظاهر اللفظ،ولو لم يقصد هذا، بل أطلق عبارة الكذب، فليس بحرام في هذا الموضع) [٣].

فالدعاة إلى الله ﷻ لا يكذبون، لعلمهم حرمته، ولكن لهم إن ضاق بهم الحال استعمال التورية، والمعاريض في الحديث، ففيهما مندوحة عن الكذب.

يقول ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ): (يجوز للإنسان، قولاً أو فعلاً، مقصوده به مقصود صالح، وإن كان ظاهره خلاف ما قصد به، إذا كانت فيه مصلحة دينية، مثل دفع الظلم عن نفسه، أو غيره، أو إبطال حيلة محرمة) [٤].

وقد قال عمر بن الخطاب [٥] ﷺ: (أما في المعاريض ما يكفي المسلم الكذب) [٦].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك ٤/ ٢١٢٨، رقم: ٢٧٦٩، دار إحياء التراث العربي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) الإمام القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد، غريب الحديث ١/ ١٩٨، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/١، سنة ١٣٩٦م، تحقيق: محمد عبد المعيد خان.

(٣) الإمام النووي، الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، ص ٣٠٢، دار الكتاب العربي، بيروت، سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

(٤) ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ص ٣٨٠، دار الحديث، القاهرة، ط/٦، سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، تحقيق: مجدي فتحي السيد.

(٥) هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى، ثاني الخلفاء الراشدين المهديين، أبو حفص، الملقب بالفاروق، قتل ﷺ سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، انظر: البداية والنهاية، ٧/ ١٣٧ ـ ١٤٦.

(٦) الإمام البخاري، الأدب المفرد، باب: المعاريض، ص ٣٠٥، دار البشائر الإسلامية، ط/٣، سنة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

والدعاة في استعمالهم التورية، حذراً على أنفسهم من سلطان الباطل وسطوته، هم بذلك يقتدون بسيد الدعاة ﷺ.

أورد ابن هشام (المتوفى سنة ٢١٣هـ) في سيرته أن الرسول ﷺ لما نزل قريباً من بدر ركب هو وأبو بكر ﷺ حتى وقف على شيخ من العرب، فسأله عن قريش وعن محمد ﷺ وأصحابه، وما بلغه عنهم، فقال للشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: إذا أخبرتنا أخبرناك، قال: أذاك بذاك؟ قال: نعم، قال الشيخ: فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي به رسول الله ﷺ، وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني، فهم اليوم بمكان كذا وكذا، للمكان الذي فيه قريش، فلما فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟، فقال رسول الله ﷺ: نحن من ماء، ثم انصرف عنه، يقول: ما من ماء، أمن ماء العراق [١]، وأراد النبي ﷺ قول الله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾ سورة الطارق، الآيتان: ٥، ٦.

واستعمل أبو بكر ﷺ التورية يوم الهجرة، عندما قال لما سئل عن الغلام الذي بين يديه، وهو رسول الله: هذا هاد يهديني السبيل [٢]. يريد هداية الدين، لا الطريق كما يحسبه السائل.

ودخل بعض الزهاد على بعض الجبابرة، فأحضر له اللهو والمغنين، فجعل الزاهد يقول للمغني كلما فرغ من غناء: أحسنت، ليرفع عن نفسه شر ذلك الجبار، فلما خرج الزاهد قيل له في ذلك، فقال: إني كنت أقول أحسنت إذا سكت [٣].

---

(١) الإمام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، السيرة النبوية ٢/ ١٦٣، دار الجيل، بيروت، ط/١، سنة ١٤١١هـ، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد.

(٢) مصنف بن أبي شيبة ٧/ ٣٤٦، رقم: ٣٦٦٢، مكتبة الرشد، الرياض، ط/١، سنة ١٤٠٩هـ، تحقيق: كمال يوسف الحوت.

(٣) عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، اللآلي في شرح أمالي القالي، ١/ ٢٤٠، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/١، سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، تحقيق: عبد العزيز الميمني.

قال ابن تيمية (٧٢٨هـ): ولو دخل مسلم دار الرافضة والخوارج، فكتم حبه للصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ، لم يكن ذلك زنديقاً، ولو عرض لم يأثم بذلك [١].

وبهذا يحفظ الداعية نفسه من ظلم الظالمين، وتعذيب المجرمين، ويظل يتحرك بدعوته بين المدعوين، ففي هلكته ضياع لعلمه، وفي سجنه سجن لعلمه، وضياع له، ومن اعتبر بمراحل دعوة رسول الله ﷺ التي بدأها سراً، عرف دلالة وأهمية ما نريد أن نشير إليه.

أما ما كان من إنشاد الشعر الوطني الذي يلهب المشاعر، ويقوي حماسة النفوس، ويدعو إلى مزيد من الثبات والصبر، فإنه يعد نوعاً من أنواع الترويح عن النفوس، لئلا يصيبها الملل، والضيق والضجر، والناس عامة، والدعاة إلى الله خاصة، يحتاجون إلى الترويح عن النفس.

يقول أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ): (ترويح النفس وإيناسها بالمجالسة، والنظر والملاعبة، إراحة للقلب، وتقوية له على العبادة، فإن النفس ملول، وهي عن الحق نفور، لأنه على خلاف طبعها، فلو كلفت بالإكراه على ما يخالفها جمحت وثابت، وإذا رُوِّحت باللذات في بعض الأوقات قويت ونشطت [٢].

ويعد اللهو بالمباحات من أعمال المرء الصالحة، مادام بنية، كما قال ابن تيمية (٧٢٨هـ): فأما من استعان بالمباح الجميل على الحق، فهذا من الأعمال الصالحة، ولهذا جاء في الحديث، (وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر، قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر) [٣].

---

(١) أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الاستغاثة في الرد على البكري ٢/ ٩٥٠، دار الوطن، الرياض، ط/١، سنة ١٤١٧هـ، تحقيق: عبد الله محمد الشهلي.

(٢) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين ٢/ ٣٠، دار المعرفة، بيروت.

(٣) صحيح مسلم، كتاب. الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ٢/ ٦٩٧، رقم: ١٠٠٦.

فالمؤمن إذا كانت له نية أثّت على عامة أفعاله، وكانت المباحات من صالح أعماله، لصلاح قلبه ونيته [١].

وقد تواردت الآثار في ترويح النفوس، وإعطائها قسطاً من الراحة، لئلا تمل، وتنشط إلى أعمال الخير، ومن ذلك:

قال علي [٢] ﷺ: روحوا القلوب، وابتغوا لها طرق الحكمة، فإنها تمل كما تمل الأبدان [٣].

وقال أيضاً: روحوا القلوب، فإنها إذا أكرهت عميت [٤].

وقال أبو الدرداء ﷺ [٥]: إني لأستجم ليكون أنشط لي في الحق [٦].

وكان ابن عباس [٧] ﷺ إذا أكثر عليه في مسائل القرآن والحديث يقول:

---

(١) ابن تيمية، مجموعة رسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه ٢٨/ ٣٦٩ باختصار يسير، مكتبة ابن تيمية، ط/٢، بدون تاريخ، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.

(٢) هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ابن عم رسول الله ﷺ وأبو الحسن والحسين، وختن النبي ﷺ على ابنته فاطمة الزهراء، وهو رابع الخلفاء الراشدين، قتله عبد الرحمن بن ملجم سنة ٤٠هـ. انظر: البداية والنهاية ٧/ ٣٣٣ ــ ٣٤٣.

(٣) أبو بكر أحمد علي بن ثابت الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/ ١٢٩، مكتبة المعارف، الرياض، سنة ١٤٠٣هـ، تحقيق: محمود الطحان.

(٤) الإحياء ٤/ ٣٧٦.

(٥) اسمه عويمر بن زيد بن قيس من كبار زهاد أصحاب النبي ﷺ، توفي بدمشق سنة ٣٢هـ. انظر: طبقات ابن سعد ٧/ ٣٩١ ــ ٣٩٢، دار صادر، بيروت، بدون.

(٦) يحيى بن معين، تاريخ يحي بن معين (رواية الدوري) ٤/ ٤٨٤، الناشر: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط/١، سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، تحقيق: د/ محمد أحمد نور سيف.

(٧) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله حبر الأمة، وترجمان القرآن، ت سنة ٦٨هـ. انظر: البداية والنهاية ٨/ ٢٩٨ ــ ٢٩٩، ٣٠٠: ٣١٠.

أحمضوا، يريد خذوا في الشعر، وأخبار العرب [١].

وكان الزهري (ت ١٢٤هـ أو ١٢٥هـ) للمحدث، يقول لأصحابه: هاتوا من أشعاركم، هاتوا من حديثكم، فإن الأذن مجاجة، والقلب حمض [٢].

وروى ابن عبد البر (ت٤٦٣هـ) بسنده: أن أصحاب النبي كانوا يتناشدون الأشعار، ويتذاكرون أيامهم في الجاهلية [٣]، وفي الأدب المفرد للبخاري (ت ٢٥٦هـ) بسند صححه الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، أن أصحاب النبي ﷺ كانوا يتبادحون بالبطيخ، فإذا كانت الدقائق كانوا هم الرجال [٤].

الدعـــاة وواقعيـــة الإســـــلام:

فيجب على الدعاة بيان أن الإسلام دين واقعي، لا يحلق في أجواء الخيال المثالية الواهمة، ولكنه يقف مع الإنسان على أرض الحقيقة والواقع، ولا يعامل الناس كأنهم ملائكة أولوا أجنحة مثني وثلاث ورباع، ولكنه يعاملهم بشراً يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق.

لذلك لم يفرض على الناس ولم يفترض فيهم ــ أن يكون كل كلامهم ذكراً، وكل صمتهم فكراً، وكل سماعهم قرآناً، وكل فراغهم في المسجد، وإنما اعترف بهم وبفطرتهم، وغرائزهم التي خلقهم الله عليها،وقد خلقهم سبحانه يفرحون ويمرحون ويضحكون ويلعبون، كما خلقهم يأكلون ويشربون [٥].

---

(١) أبو البركات بدر الدين محمد بن محمد الغزي، المراح في المزاح، ص ٦٩، دار ابن حزم، بيروت، ط/١، سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٧٧م، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي.

(٢) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي،فتح المغيث شرح ألفية الحديث ٢/ ٢٤٩، دار الكتب العلمية، لبنان، ط/١، سنة ١٤٠٣هـ.

(٣) الحافظ يوسف بن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ١/ ١٠٥، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٣٩٨هـ.

(٤) صحيح الأدب المفرد، ص ١٢٠، رقم: ٢٦٦، دار الصديق، ط/١، سنة ١٤٢١هـ.

(٥) د/ يوسف القرضاوي، الحلال والحرام، ص ٢٥٢، مكتبة وهبة، القاهرة، ط/٢٤، سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، وللاستزادة ينظر لنفس المؤلف كتابه: الخصائص العامة للإسلام، من ص ١٥٧ ــ ١٨٦، مؤسسة الرسالة، ط/٩، سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩١م، وكذلك: سيد قطب، في كتابه: خصائص التصور الإسلامي، من ص ١٦٣ ــ ١٨١، دار الشروق، ط/١٢، سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

المطلب الثاني

الثبات والصمود

أصحاب المبادئ العالية، ذوو إرادة قوية، لا يثنيها عن عزمها شيء، وإن الجبل الأشم، حين تعتريه عوامل الطبيعة، تؤثر في قوته، ولكن كان لدى هؤلاء الثوار إرادة تتحدى جميع الأخطار المحدقة بهم، وإصراراً يفت عضد أي استسلام دون آمالهم ومطامعهم وأحلامهم، ولديهم فدائية عظيمة، في سبيل أن تحيا عزة الوطن، وحرية الشعوب.

انظر لهم مع شدة المخاوف، وتنوع المخاطر:

ـ (على صوت أزيز الطائرات الحربية التي طارت في سماء القاهرة على ارتفاعات منخفضة، واصلوا إصرارهم) [1] وهناك أيضاً:

ـ قناصة يعتلون البنايات المرتفعة في ميدان التحرير، ويطلقون النار صوبهم [2].

ـ إلقاء قنابل مولوتوف عليهم من أعلى البنايات [3].

ـ قطع الكهرباء عن الميدان [4].

ـ بعض مؤيدو النظام يدخل الميدان ومعهم صواعق كهربائية وعصي [5].

ـ إلقاء أجسام صلبة، وقطع حجارة ورخام على المتظاهرين [6].

ـ هجوم مجموعة من الرجال يركبون الجياد والجمال ومعهم العصي

---

(١) السيد عبد الفتاح، ثورة التحرير، ص ١٣٢، مصدر سابق.

(٢) كل شيء عن الفيس بوك وثورة الغضب، ص ١٠٧، مصدر سابق.

(٣) نفس المصدر والموضع.

(٤) نفس المصدر، ص ١١١.

(٥) نفس المصدر، ص ١١٨.

(٦) تقرير لجنة تقصي الحقائق في أهرام الأربعاء ٢٠ أبريل ٢٠١١م، ص ٥.

وقطع الحديد، وانهالوا ضرباً (١).

ـ أطلقت الشرطة الأعيرة النارية، والمطاطية، والخرطوش، والقنابل المسيلة للدموع (٢).

ـ اعتقال بعضهم، وأصيب بعضهم بإصابات حرجة، ووقع منهم شهداء.

ـ رأوا أنابيب بوتاجاز صغيرة، تصعد فوق أسطح المنازل في ميدان التحرير (٣).

لكن مع جميع ذلك، فإن روح الإصرار، جعلتهم لا ييأسوا، مهما طال الوقت، وعفا الزمن، واسودت الليالي، فإن الفجر يطلع بعد أشد أوقات الليل ظلاماً، والفرج يأتي بعد أن ينقطع رجاء الناس فيه، قال ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ سورة يوسف، الآية: ١١٠، وقال أيضاً: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝﴾ سورة الشرح، الآيتان: ٥، ٦.

درس للدعـــــاة:

إن صمود هؤلاء على مطالبهم يذكر الدعاة بصمود النبي ﷺ على دعوته، حين قال لعمه (والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري، على أن أترك هذا الأمر ما تركته، حتى يظهـره الله أو أهلك دونه) (٤)، وقال يوم الحديبية: (والذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي) (٥).

ويوم الأحزاب (٦) عندما تجمعت قلول المشركين لقتاله، وتحزبت القبائل العربية ضده، ومعهم يهود بني قريظة وغيرهم، طلب التثبيت من الله ﷻ، يقول

---

(١)،(٢) نفس المصدر والموضع.

(٣) كل شيء عن الفيس بوك وثورة الغضب، ص ١٠٥.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية ١/ ١٨٩، دار الفكر العربي.

(٥) د/ محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، ص ٢٣١، دار السلام، ط/١١، سنة ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

(٦) غزوة الأحزاب أو الخندق من أحداث السنة الخامسة من الهجرة.

البراء بن عازب [١] ﷺ: (رأيت رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ينقل التراب، وقد وارى التراب بياض بطنه وهو يقول: لولا أنت ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا، فأنزل السكينة علينا، وثبت الأقدام إن لاقينا، إن الألى [٢] قد بغوا علينا، إذا أرادوا فتنة أبينا) [٣].

إن الثبات على المبادئ العليا، هو الذي يصنع المعجزات، ويحرك سفن الباطل من مواضعها، ويثبت محلها مواكب الحق والخير والفضيلة، فلولا ثبات أهل الحق على حقهم، ما فتئ الناس، يعرفون الحق من الباطل، والخير من الشر، والفضيلة من الرذيلة.

وقد ثبت أهل ميدان التحرير في مقاومة الباطل وأهله، لأن الله ــ تعالى ــ أمر بالثبات في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ ﴾ سورة الأنفال، الآية: ٤٥، (فأمر ــ تعالى ــ بالثبات عند قتال الأعداء، والصبر على مبارزتهم، فلا يفروا ولا ينكلوا ولا يجبنوا) [٤].

وثبت أهل الميدان، حتى بعد أن رأوا دماء الشهداء، تسيل بجوارهم كالمياه الجارية، فكان لهم الحق أن يخافوا أن تزهق أرواحهم، ولكنها وصية النبي ﷺ لمعاذ بن جبل [٥] ﷺ: (.. وإياك والفرار من الزحف، وإن هلك الناس، وإذا أصاب الناس

---

(١) هو البراء بن عازب بن الحارث الأنصاري ويكنى أبا عمارة، صحابي ابن صحابي. انظر ترجمته: في محمد بن سعد، الطبقات الكبرى ٦/ ١٧.

(٢) الألى: بمعنى الذين، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٧/ ٤٠١، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: حفر الخندق ٣/ ١٠٤٣، رقم: ٢٦٨٢.

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢/ ٣١٧، دار الفكر، بيروت، سنة ١٤٠١هـ.

(٥) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس، من أهل بدر، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله، مات في خلافة عمر، في طاعون عمواس سنة ١٨هـ. انظر: طبقات ابن سعد ٧/ ٣٨٧.

موتان [١] وأنت فيهم فاثبت) [٢].

إن الدعاة إلى الله هم أهل الحق في كل زمان ومكان، لذا كان جديراً بهم الصبر على ما يعانون، ويقولون، وإن أوذوا، وفتنوا، لابد لهم من الثبات على الحق، قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ): وأما أهل السنة والحديث فما يعلم أحد من علمائهم ولا صالح عامتهم رجع قط عن قوله واعتقاده، بل هم أعظم الناس صبراً على ذلك، وإن امتحنوا بأنواع المحن، وفتنوا بأنواع الفتن، وهذه حال الأنبياء، وأتباعهم من المتقدمين، كأهل الأخدود [٣] ونحوهم، وكسلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين، وغيرهم من الأئمة، حتى كان الإمام مالك (ت ١٧٩هـ) يقول: لا تغبطوا أحداً لم يصبه في هذا الأمر بلاء [٤]، بل إن الإمامة في الدين لا تنال إلا بالصبر، مضافاً إليه اليقين، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ سورة السجدة، الآية: ٢٤.

المطلب الثالث

التكافل

الكافل هو الذي كفل إنساناً يعوله، وينفق عليه، والكافل والكفيل: الضامن [٥]، فالتكافل يعني التضامن، والتعاون، والتكاتف، وظهور الصف الواحد، مقابل

---

(١) الموتان هو الموت، انظر: القاسم بن سلام، غريب الحديث ٢/ ٨٦، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/١، سنة ١٣٩٦هـ، تحقيق: د/ محمد عبد المعيد خان.

(٢) مسند الإمام أحمد ٥/ ٢٣٨، رقم: ٢٢١٢٨، وقال الشيخ الألباني: حسن لغيره، انظر: صحيح الترغيب والترهيب ١/ ١٦٨، رقم: ٥٧٠، مكتبة المعارف، الرياض، ط/٥، بدون تاريخ.

(٣) اقرأ أوائل سورة البروج، حتى آية رقم: ١٠، وانظر: صحيح مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، باب: قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام ٤/ ٢٢٩٩، رقم: ٣٠٠٥.

(٤) أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى ٤/ ٥٠، مكتبة ابن تيمية، ط/٢، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي.

(٥) لسان العرب ١١/ ٥٨٨ ــ ٥٨٩، مادة: كفل.

الهدف الواحد، والغاية الواحدة، قال ﷻ عن مريم الصديقة عليها السلام: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ سورة آل عمران،الآية: ٣٧، أي (ضمها إلى إنفاقه وحضنه، والكافل هو المربي الحاضن) [١]، ويوصي الإسلام بالتكافل والترابط، والتعاون، لدرجة أن الرسول ﷺ يحبب الانتماء إلى الفئة المتكافلة فيقول ﷺ: ﴿ إن الأشعريين إذا أرملوا [٢] في الغزو، أو قلَّ طعامهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني، وأنا منهم ﴾ [٣].

ومن أهم القيم التي ظهرت خلال أيام الثورة، تلك القيمة النبيلة التي افتقدها شعب مصر، بعد أن عاش البعض ــ فترة ــ كجزر منعزلة من بعضها البعض، فكان رغيف العيش يقسم على الثلاثة أفراد وأكثر، (والقطعة من حلاوة الطحينية كذلك) [٤] فيؤثر الأخ أخاه، وقد مدح الله الأنصار، بقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ سورة الحشر، الآية: ٩، والقادم من منزله، يكثر طعامه، لعله يجد ــ في الميدان ــ جائعاً فيطعمه، ويستزيد من الماء، لعله يجد ظمآناً فيرويه، وجئ لهم بما يستدفئون به من شدة الزمهرير، من حيث لا يحتسبون، وفتح الأطباء ــ كل في تخصصه ــ عيادات لهم في الميدان، يعالجون المرضى، ويضمدون الجراح، ويبعثون الأمل بمسحهم على موضع الألم، (وقام المستشفى الميداني بتوزيع نشرة صحية على المتظاهرين،

---

(١) ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١/ ٤٢٥، دار الكتب العلمية، لبنان، ط/١، سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

(٢) أي في طعامهم،انظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/ ٦٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/٢، سنة ١٣٩٣هـ.

(٣) متفق عليه، البخاري، كتاب: الشركة، باب: الشركة في الطعام ٢/ ٨٨٠، رقم: ٢٣٥٣، ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل الأشعريين ٤/ ١٩٤٤، رقم: ٢٥٠٠.

(٤) مجلة البيان، الجمعية الشرعية بالقاهرة،العدد الحادي والثمانون،ربيع الآخر سنة ١٤٣٢هـ ــ مارس سنة ٢٠١١م،ص ٢١.

وتعليقها على الجدران، وتضمنت النشرة، تعليمات لمنع انتشار أي وباء أو مرض، فضلاً عن تعليمات لمرضى السكر والضغط وضيق التنفس) [1]، وتحدث أعمال المستشفى الميداني إلى الفريق الثاني، أصحاب الثورة المضادة، فمن أصيب منهم بجراح ضمدوها أيضاً، ابتغاء وجه الله ــ تعالى ــ إذ قد انضم إلى المستشفى (عشرات طلاب كليات الطب والصيدلة، دفعهم إلى ذلك أحداث الثورة الدامية) [2].

صير الميدان كل الفوارق بين طبقات المجتمع، وحولهم إلى كيان واحد، بصرف النظر عن الدين أو الجنس، أو الطبقة، فكانوا كالبنيان المرصوص، والجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، ومن ذهب إلى الميدان يستحيل التفرقة بين هذا وذاك، وهذه وتلك، فالكل على أخلاق واحدة، وأهداف واحدة، وهتافات واحدة، وتلك وصية (فاروق الباز) [3] إليهم (لا تقبلوا وصاية أي فرد أو جماعة عليكم، ومن يتحدث عنكم لابد أن يسمعكم أولاً، ابتعدوا عن الأحزاب والجماعات في هذه الآونة الحرجة، يجب أن يكون ولاؤكم للوطن، أولاً وأخيراً، ولابد لكم من الشعور بالأمل) [4].

ولن ينسى التاريخ أبداً التكافل الأدبي والأخلاقي الذي عاشه أهل الميدان، حيث كان الواحد منهم ينظر إلى أخيه بابتسامة، وإذا شعر أنه فعل شيئاً ضايقه، قام بالاعتذار إليه، بكل حب وتسامح، وما يتعمد أحد إيذاء الآخرين تعمداً، حتى ولو إيذاء الشعور (يقول أحد الملتزمين: عرضت عليّ فتاة متبرجة بعض المأكولات، فأخذتها منها بالرغم من أني لم أكن أرغب في الطعام، لكنني خشيت أن تظن أنني

---

(١) السيد عبد الفتاح، ثورة التحرير، ص ٢٧.

(٢) جريدة الأخبار المصرية، الثلاثاء ٨ مارس سنة ٢٠١١م ــ ٣ ربيع الآخر سنة ١٤٣٢هـ، ص ٦.

(٣) العالم المصري، و. رئيس مركز أبحاث الفضاء بمدينة بوسطن الأمريكية.

(٤) السيد عبد الفتاح، ثورة التحرير، ص ٣٥، مصدر سابق.

رفضته لأنني صاحب لحية، فتشعر بالحرج) [١].

ويرسم الدكتور/ أحمد عكاشة، رئيس الجمعية المصرية للطب النفسي ملامح هذه المرحلة النفسية التي عاشها المعتصمون في الميدان فيقول: (لابد أن أبدأ قبل ٢٥ يناير، وما تركه الإحباط واليأس والقمع من تأثير على الشخصية المصرية، التي أصيبت بالامبالاة، والتمركز حول الذات، وانعدام إحساس المواطن بقيمته، والجفوة الكبيرة بينه وبين الحكومة، وحين جاءت الثورة بواسطة نخبة من الشباب المتعلم، المنفتح على العالم، أحدثت تغيراً كبيراً في أخلاقيات المصري، الذي أصبح منتمياً، لديه عزة، ورغبة في التعاون، وتحمل المسئولية) [٢]، وكأنه يرى أن الحكومات هي السبب وراء انحدار أخلاقيات التعاون، والعمل بروح الفريق، في المجتمع المصري، فسبحان من ألف بين قلوب المعتصمين، ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ﴾ سورة الأنفال، الآية: ٦٣.

وسبحان من جعلهم يعودون إلى فطرتهم النقية، وضرورتهم الاجتماعية، يقول ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ): (الإنسان قد شاركته جميع الحيوانيات في حيوانيته من الحس والحركة والغذاء واللكن [٣]، وغير ذلك، وإنما تميز عنها بالفكر الذي يهتدي به لتحصيل معاشه، والتعاون عليه، بأبناء جنسه، والاجتماع المهيئ لذلك التعاون، وقبول ما جاءت به الأنبياء عن الله تعالى) [٤].

دروس للدعـــــاة:

يمكن للدعاة أن يشحذوا همم الناس نحو التعاون والتكافل فيما بينهم، لأن

---

(١) جريدة الشروق، عدد السبت ٢ أبريل سنة ٢٠١١م، ص ٧.

(٢) هدية الأهرام إلى شباب التحرير، ملحق الثلاثاء ٢٥ مارس سنة ٢٠١١م.

(٣) اللكن: اللسنة، انظر: مختار الصحاح،ص ٢٤٢، مادة: لكن.

(٤) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة ١/ ٤٢٩، دار القلم، بيروت، ط/٥، سنة ١٩٨٤م.

الإنسان مدني بطبعه [١]، يميل إلى العمران والتكاثر والاجتماع، ولا يستطيع العيش بمفرده، والحصول على حاجياته بنفسه، ومن ثم فهو بحاجة ماسة إلى التعاون مع غيره، لبناء المجتمع، وهذا ما يعكسه قول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ سورة المائدة، الآية: ٢.

وقد عد البيهقي (ت ٤٥٨هـ) فضيلة التعاون على البر والتقوى، من شعب الإيمان، في مصنفه: شعب الإيمان [٢]، وقال: المعاونة على البربر، لأنها إذا خدمت مع وجود الحاجة إليه لم يوجد البر، وإذا أوجدت أوجد البر، فبات أنها في نفسها بر، ثم رجع هذا البر على البر الذي ينفرد به الواحد بما فيه من حصول بر كثير مع موافقة أهل الدين، والتشبه بما بني عليه أكثر الطاعات من الاشتراك فيها وأدلتها بالجماعة.

وعن ابن عمر [٣] رضي الله عنهما قال: إن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أيُّ الناس أحبُّ إلى الله تعالى، وأيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله. فقال رسول الله ﷺ: ﴿ أحبُّ الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحبُّ الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم، أو تكشفُ عن كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطردُ عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخ في حاجةٌ أحبُّ إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد ــ يعني مسجد المدينة ــ شهراً ﴾ [٤].

فهل وعي أثرياء العرب قيمة التعاون والتكافل في دينهم، وقد ارتفع عددهم

---

(١) انظر: السابق ١/ ٤١.

(٢) انظر ٦/ ١٠١ من المرجع المذكور،دار الكتب العلمية،بيروت، ط/١، سنة ١٤١٠هـ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.

(٣) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي أبو عبد الرحمن المكي ثم المدني، وهو شقيق حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، ت سنة ٧٤هـ، انظر: البداية والنهاية ٩/ ٥، ٦.

(٤) الطبراني، المعجم الكبير ١٢/ ٤٥٣، رقم: ١٣٦٤٦، دار النشر، مكتبة الزهراء، الموصل، ط/٢، سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير ١/ ١٧٦، حديث رقم: ١٧٦، إصدار مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، بدون.

هذا العام من ٢٤ إلى ٢٩ ملياردير اً، وبلغت ثرواتهم (٦ر ٨٨) مليار دولار، ضمن قائمة أغنى أثرياء العالم، التي أصدرتها (مجلة فوربس الاقتصادية الأمريكية)، والتي تصدرها ملياردير من أصل عربي سوري بثروة بلغت (٧٤) مليار دولار، هو رجل الصناعة المكسيكي كارلوس سليم (٧١ سنة)، كما يوجد (١٠١) ألف ثري عربي بالمنطقة العربية، وفقاً لتقرير (ميريل لينش) بلغت ثرواتهم (١ ــ ٧) تريليون دولار.

وبالرغم من هذا العدد الكبير من الملياردیرات والأثرياء العرب وثرواتهم الهائلة، لم نسمع عن ثري واحد منهم قدم مساعدات خيرية لأشقائه العرب،الذين يعانون من الفقر والمرض والبطالة وسوء التغذية، على غرار أو في حجم ما قدمه ثري واحد من أثرياء العالم، أمثال (بيل جيتس) الذي تبرع وزوجته بـــ (٣٣) مليار دولار، للأعمال الخيرية، في مجال الصحة والتعليم والسكن في الدول النامية، والملياردير الأمريكي (وارين بافيت) الذي قرر تحويل (٨٥%) من ثروته البالغة٥٠ مليار دولار، إلى خمس مؤسسات خيرية، ولا يزال يقيم بمنزله الذي اشتراه منذ زواجه من ٥٠ عاماً، ويقود سيارته بنفسه، والملياردير الألماني(هيرمان ريكر)الذي تبرع بكامل ثروته، للفقراء العاملين بشركاته، وعاد زاهداً بسيطاً.

بل إن عادة البخل انتقلت من الأثرياء العرب إلى الملياردیرات الأجانب ذي الأصول العربية، ولم يقدموا أية مساعدات خيرية للعرب، حتى عندما تحدث لهم كوارث وأزمات.

ونتيجة لذلك يشعر المواطن العربي بالخجل والأسى تجاه هؤلاء الأثرياء العرب وهم يهدرون أموالهم بدفع الملايين ثمناً لرقم مميز لسيارة، أو هاتف، أو جمل فاز في سباق، أو ناقة فازت في مسابقة (ملكة جمال الإبل)، أو شراء أندية رياضية أوربية، وقنوات فضائية، بلغت ٣٢٠ قناة منها ٢٧٠ قناة جنسية، موجهة عبر الأقمار الأوربية.

ويبخلون في الوقت نفسه بمساعدة أشقائهم، بشكل مؤسسي، مثلما يفعل نظراؤهم

أثرياء العالم [1].

درس آخـــر للدعـــــاة:

أرى أن يستفيد الداعية إلى الله، من خلق التكافل الذي كان بين الثوار في ميدان التحرير خلقاً جليلاً، هو خلق البذل والعطاء، يبذل جميع ما عنده، جميع قدراته التي يمكنه أن يبذلها، يبذلها، إن كان شيئاً من المال يستطيع بذله، أو من الجاه يستطيع بذله، شيء من الحركة، والعمل، من الخدمة، من طلاقة اللسان، من بذل بعض الأمور التي يكون لها أثر، وقد قال ﷺ: ﴿ لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق ﴾ [2]، فعلى الداعية أن يوطن نفسه أن يكون باذلاً، إذا أردت أن تتحرك بالدعوة فابذل، إذا كنت شحيحاً لست بذي جود فلا تصلح للدعوة، الداعية يصلح له أن يكون جواداً، يعني أن يكون بذلاً للخير غير شحيح، والشح ليس في المال فحسب، الشح يكون في اللفظ، في الحركة، في المعروف، في أشياء كثيرة منها المال.

ووصف ابن القيم رحمه الله (ت ٧٥١هـ)، شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ت ٧٢٨هـ)، عند ذكره في كتاب مدارج السالكين، في منزلة الجود، وقال: (لم أر في العالم أجود من شيخ الإسلام ابن تيمية ذلك أنه يأتي السائل فيسأله عن مسألة، فيجيب عن أكثر منها، وهذا ربما انتقد عليه، ولكن هذا من الجود بالعلم، لأن مثل ذلك مثل من سئل عن الطريق إلى مكة، فوصف للسائل طريق مكة، وطريق المدينة، وطريق كذا وكذا، وهذا مأخوذ من قول النبي ﷺ عندما سئل عن التوضأ بماء البحر، فقال: ﴿ هو الطهور ماؤه، الحل ميتته ﴾ [3] جواب السؤال (الطهور

---

(١) جريدة الأهرام، عدد الثلاثاء، ١٥ مارس سنة ٢٠١١م، ص ١١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء، ٤/ ٢٠٢٦، رقم/ ٢٦٢٦.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب: أبواب الطهارة، باب: ما جاء في ماء البحر أنه طهور، ١/ ١٠١، رقم: ٦٩، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

ماؤه) أما (الحل ميتته) فهذا زيادة في الجواب، وهي من الجود الذي ذكره ابن القيم رحمه الله) (١).

إذن من أخلاق الداعية، لابد أن يوطن نفسه على أن يكون جواداً، في علمه، جواداً في السوق، جواداً في بيته، هذا من المهم في كل نطاق، لأن الجود سبب لانفتاح القلوب، والناس يحبون من أحسن إليهم.

وما أجمل قول القائل:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان (٢)

---

(١) راجع: ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ٢/ ٢٩٣ ــ ٢٩٤، دار الكتاب العربي، ط/٢، سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٣م، تحقيق: محمد حامد الفقي، ونص كلام ابن القيم رحمه الله: (ومن الجود بالعلم، أن السائل إذا سألك عن مسألة: استقصيت له جوابها، جواباً شافياً، لا يكون جوابك له بقدر ما تدفع به الضرورة، كما كان بعضهم يكتب في جواب الفتيا، نعم، --- --- أو لا، مقتصراً عليها، ولقد شاهدت من شيخ الإسلام ابن تيمية ــ قدس الله روحه ــ في ذلك أمراً عجيباً: كان إذا سئل عن مسألة حكمية ذكر في جوابها مذاهب الأئمة الأربعة إذا قدر، وأدلة الخلاف، وترجيح القول الراجح، وذكر متعلقات المسألة، التي ربما تكون أنفع للسائل من مسألته، فيكون فرحه بتلك المتعلقات واللوازم، أعظم من فرحه بمسألته، فمن جود الإنسان بالعلم: أنه لا يقتصر على مسألة السائل بل يذكر له نظائرها، ومتعلقها، وما عندها، بحيث يشفيه ويكفيه، وقد سأل الصحابة رضي الله عنهم النبي ﷺ عن التوضئ بماء البحر، فقال: ﴿ هو الطهور ماؤه، الحل ميتته ﴾ فأجابهم عن سؤالهم، وجاد عليهم بما لعلهم في بعض الأحيان، إليه أحوج مما سألوه عنه) انتهى بنصه من الموضع السابق.

(٢) الشيخ/ صالح آل الشيخ، نصائح وتوجيهات في العلم والدعوة، ص ٨، ٩ باختصار وتصرف يسير، والرسالة بدون بيانات، والبيت من شعر الشيخ أبي الفتح البستي ــ رحمه الله ــ. انظر: الشيخ/ بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي، الكشكول، ١/ ٢٤٠، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/١، سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري.

المطلب الرابع
مشاركة المرأة للرجل

يبين الدعاة إلى الله ــ تعالى ــ أن المرأة مثل الرجل، سواءً بسواء، في مجال عمارة الكون، عليها مهام جسيمة، وواجبات جليلة، لابد من القيام بها، ولها أجرها على ذلك من الله ــ تعالى ــ إن صدقت نيتها وأحسنت طويتها، قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

وقال أيضاً ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سورة النحل، الآية: ٩٧.

وأورد البخاري (ت ٢٥٦هـ) في صحيحه، باباً بعنوان (غزو النساء وقتالهن مع الرجال)، أورد فيه مشاركة أم المؤمنين عائشة [١]، وأم سليم [٢] في غزوة أحد، وهما ينقلان القرب على متونهما ثم تفرغانه في أفواه القوم،ثم ترجعان فتملأنها،ثم تجيئان فتفرغانها في أفواه القوم [٣]، ومثل ذلك كانت تفعل أم سليط [٤] ﷺ [٥].

وتقول الرُّبَيِّع بنت مُعوِّذ [٦] ﷺ: ﴿ كنا نغزو مع النبي ﷺ فنسقي القوم،

---

(١) هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ، كناها رسول الله ﷺ بابن أختها عبد الله بن الزبير. انظر ترجمتها في ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة ٨/ ١٧ ــ ١٩، دار الجيل، بيروت، ط/١، سنة ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، تحقيق: علي محمد البجاوي.

(٢) أم سليم بنت ملحان، أم خادم النبي ﷺ أنس، انظر ترجمتها في ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٨/ ٤٢٥، دار صادر، بيروت.

(٣) انظر كتاب الجهاد والسير، من الباب المذكور ٣/ ١٠٥٥، رقم: ٢٧٢٤.

(٤) أم سليط البخارية، وهي أم قيس بنت عبيد... بن النجار، شهدت مع الرسول ﷺ بعض الغزوات. انظر ترجمتها في طبقات ابن سعد ٨/ ٤١٩.

(٥) نفس الكتاب والباب المذكور آنفاً ٣/ ١٠٥٦، رقم: ٢٧٢٥.

(٦) الربيع بن معوذ بن عفراء بن حرام الأنصارية النجارية، من المبايعات بيعة الشجرة. انظر ترجمتها في الإصابة ٧/ ٦٤١.

ونخدمهم، ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة }[1]، وفي رواية: { ونداوي الجرحى،ونرد القتلى إلى المدينة }[2].

ولهذا فإن المرأة المصرية كانت حاضرة وبقوة في المشهد الثوري، بميدان التحرير، وغيره من الميادين الأخرى في باقي المحافظات، لأنها خرجت تساند الرجال، يداً بيد، للقضاء على الظلم الاجتماعي.

وإن أول ما كان يلفت نظر القادم إلى ميدان التحرير، خلال أيام صمود الثوار، وجود فتيات، اصطففن بشكل منظم، بجانب بعض الشباب، وتقوم الفتيات ــ بأدب جم ــ باستئذان القادمات، بأن يطلعن على هويتهن الشخصية، وأن يفتشن حقائبهن، مفسرات لهن هذا الإجراء، بأهميته لحفظ النظام، داخل الميدان، ومنع دخول مندسين، يخـربون ويدمرون، وهو ما يرفضـــه ــ تماماً ــ كل الثوار.

وما أن يدخل القادم للميدان إلى ساحته الرئيسة، إلا ويشاهد الفتاة المصرية، يداً بيد، مع الشباب المصري، تتظاهر، تهتف، تستلهب مشاعر الحضور، تشحذ الهمم لمزيد من الصمود، من أجل تحقيق أهدافهم.

وبخلاف ذلك كان للمرأة أدواراً أخرى في الميدان، فتلك فتاة راحت تتقاسم مع زميلة لها، الإمساك بكيس قمامة، لتجمعا فيه القمامة، من أرض الميدان، وتقول: (كنت فخورة جداً، وأنا أقوم بهذا الدور، ولا يعيبني في ذلك أن أكون من وسط اجتماعي راقي، أو أن أتخرج من أعرق أو أكثر الجامعات رفاهية في مصر) [3]، ومنهن من كن يسعفن الجرحى والمصابين [4].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: مداواة النساء الجرحى والقتلى ٣/ ١٠٥٦، رقم: ٢٧٢٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: مداواة النساء الجرحى في الغزو ٣/ ١٠٥٦، رقم: ٢٧٢٦.

(٣) الفتاة اسمها نشوى وهي خريجة قسم الاقتصاد، بالجامعة الألمانية.

(٤) مثل الدكتورة سامية،وكانت قد حضرت للميدان مرة من باب الفضول، لترى ما يحدث، وعندما وجدت مصابين، لم تتردد في أن تقوم بدورها في إسعافهم، وما كانت تترك الميدان إلا لساعات قليلة، تعود لمنزلها، تعد الطعام والشراب لأولادها وزوجها، ثم تعود لتواصل دورها من جديد.

ولن ينسى التاريخ أبداً، اسم الفتاة "أسماء محفوظ"، التي شاركت في تفجير الثورة على الفيس بوك، و "إسراء عبد الفتاح"، تلك الفتاة التي عرفت باسم "فتاة الفيس بوك"، و "نوارة أحمد نجم فؤاد"، وغيرهن، من أبطال ثورة التغيير، من أجل الحقوق المشروعة لكل المصريين، من أجل حرية أوطانهن، وصنع الحاضر والمستقبل (١).

وهكذا يوضح الداعية أن المرأة ليست مخلوقاً أقل كفاءة من الرجل، ولا ينظر إليها نظرة دونية، لاسيما لو كانت متعلمة أو مثقفة.

ويبين الدعاة أن النساء المتعلمات عليهن دور في المجتمع، لا يقل خطورة عن دور الرجال، وهذا ما رآه الجميع في أيام الثورة المباركة.

فيجب الاهتمام بهن، وتعليمهن، وتأديبهن، وتثقيفهن، لأن المرأة نصف المجتمع، وتربي لنا النصف الآخر، وقد قال النبي ﷺ: «إنما النساء شقائق الرجال» (٢).

كذلك يجب على الدعاة إلى الله حض النساء على المشاركة في الدعوة، كما شاركن في العمل السياسي، وهو الثورة، فالدعوة بحاجة ماسة إلى النساء ووجودهن ومشاركتهن، وإلا نظرن بحسرة وبالغ الأسف إلى المنصرات والمبشرات بالديانة المسيحية، ماذا يفعلن؟ وكيف يقتطعن من أوقاتهن وأموالهن وراحتهن الكثير في سبيل تنصير فتاة أو شاب، ويؤكد القرآن على وجوب العمل الدعوي للمرأة بقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾﴾ سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.

---

(١) انظر جريدة اللواء الإسلامي، عدد الخميس ١٢ من ربيع الآخر سنة ١٤٣٢هـ ـ ١٧ من مارس سنة ٢٠١١م، الصفحة الأخيرة، مجلة حواء، عدد ١٩ فبراير ٢٠١١م، ص ١٧،١٦، وعدد ١٢ مارس ٢٠١١م، ص ٤، ٥.

(٢) سنن أبي داود، كتاب: الطهارة، باب: في الرجل يجد البلة في منامه ١/ ٦١، رقم: ٢٣٦، دار الفكر، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود، ١/ ٤٣٤، رقم: ٢٣٥، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، سنة ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

قال ابن عباس [1] ﷺ: (أمرهن بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر)[2].

وتحقيق الخير، ودفع الشر، يحتاج إلى الولاية والتضامن والتعاون... بين الرجل والمرأة، ولهذا قال ﷻ: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ سورة التوبة، الآية: ٧١، يتجهون بهذه الولاية إلى الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ولإعلاء كلمة الله، وتحقيق الوصاية لهذه الأمة في الأرض [3].

وليت نساءنا في هذه الأيام، يجعلن من الصحابيات الجليلات، قدوة لهن، في حمل رسالة الإسلام، والدعوة إليه، والذود عن حياضه، والرد على شبهات المشككين فيه.

فتلك أم سليم [4] ﷺ تجعل إسلام الخاطب لها ودخوله في دين الله ــ تعالى ــ مهراً لها.

روى النسائي (ت ٣٠٣هـ) بسنده، في سننه، عن أنس [5] ﷺ قال: ﴿ خطب أبو طلحة [6] أم سليم [7]، فقالت: والله ما مثلك يا أبا طلحة يرد، ولكنك رجل كافر،

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) الإمام القرطبي،الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ١٧٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط/ سنة ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن ٣/ ١٦٧٥، دار الشروق، الطبعة الثامنة والثلاثون، سنة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

(٤) سبقت ترجمتها منذ قليل.

(٥) هو أنس بن مالك بن النضر، الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ، وأحد المكثرين من الرواية عنه، ت ٩٣هـ، انظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة ١/ ١٢٨، رقم: ٢٧٧.

(٦) اسمه زيد بن سهل بن الأسود بن حرام... بن مالك بن النجار، أبو طلحة، مشهور بكنيته، كان من فضلاء الصحابة، اختلف في وفاته فقيل سنة ٣٤هـ، وقيل قبلها بسنتين، وقيل سنة ٥٠ وقيل ٥١هـ. انظر: المصدر السابق ٢/ ٦٠٧، ٦٠٨.

(٧) سبقت ترجمتها.

وأنا امرأة مسلمة، ولا يحل لي أن أتزوجك، فإن تسلم فذاك مهري، وما أسألك غيره، فأسلم، فكان ذلك مهرها، قال ثابت [١]: فما سمعت بامرأة قط، كانت أكرم مهراً من أم سليم الإسلام، فدخل بها فولدت له » [٢].

وهذا من أفضل المهور، وأنفعها، وأجلها [٣]، وهذا هو حقيقة الانتماء للدين الإسلامي، استمساك به، ودعوة إليه.

المطلب الخامس

التسامح مع المسيحيين

إن النصارى نسيج من أهل الكتاب، والطمع في إسلام أهل الكتاب قائم، ومن ثم فالإسلام حريص في بناء دولته على توطيد الصلة بهم، فلم يحرم على المسلمين طعامهم، وأباح نكاح نسائهم، قال ﷻ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ۖ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ﴾ سورة المائدة، الآية: ٥.

وعلى أساس حسن المعاملة، واحترام الأديان، ونبذ الخلاف العقدي، عاش المعتصمون على أرض التحرير، خلال أيام الثورة المباركة، فما سمعنا كلمة قبطي ومسلم على الإطلاق، بل اتسع الميدان لأن يصلي على أرضه المسلمون صلاتهم، ويقيم على نفس

---

(١) هو ثابت البناني الذي روى الحديث عن أنس، مات سنة ١٢٧هـ. انظر: خلاصة تذهيب تذهيب الكمال، للإمام أحمد بن عبد الله الخزرجي ١/ ٥٦، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، سوريا، ط/٥، سنة ١٤١٦هـ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة.

(٢) سنن النسائي، كتاب: النكاح، باب: التزويج على الإسلام ٣/ ٣١٢، رقم: ٥٥٠٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، تحقيق: د/ عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ٩/ ١١٥، مرجع سابق.

(٣) ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد ٥/ ١٧٩، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الكويت، ط/١٤، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط.

البقعة الأقباط قداسهم، ولأول مرة يخطب خطيب يوم جمعة، ويوجه ندائه لأتباع كلتا الديانتين، دون تفرقة، إنه الدكتور/ القرضاوي، عندما قال: أيها المسلمون والأقباط المسيحيون[١].

وحين بدأ أذان الجمعة تقطع جميع هتافات الأقباط، وبعد الفراغ من الصلاة، يهتف الجميع مسلم ومسيحي، يد واحدة[٢]، فترفع الصليب مع الهلال[٣]، وسئل أحد المعتصمين، ما هو المشهد الذي لن تنساه؟ قال: من أكثر المشاهد التي

(١) مدونة، عالم المدونات العربي، شبكة الإنترنت، تاريخ ٢٠/ ٤/ ٢٠١١م، وموقع Face book، ٢٨/ ٢/ ٢٠١١م.

(٢) جريدة الأهرام المصرية، السبت ١٢/ ٣/ ٢٠١١م، ص ٨.

(٣) رفع الصليب مع الهلال لبيان وحدة الشعب المصري، هو مقصود محمود، لبيان تماسك الوطن الواحد ضد أعمال التخريب والإرجاف، ولكن الأمر لا يجوز بإطلاق، لابد أن نؤكد أن شعار الهلال كرمز للإسلام ليس أمراً تشريعياً، فلم يكن الهلال شعاراً لدولة الرسول ﷺ، ولا الخلفاء في الخلافة الأموية والعباسية ولا حتى الخلافة العثمانية، وأول من وضع الهلال على علم كان الأتراك بعد الإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني، وبعد توغل الدولة الماسونية في الدولة العثمانية المريضة، وذلك بفعل جماعة الاتحاد والترقي التي تنتمي إلى الحركة الماسونية، وإذا رجعنا إلى أصول الحركة الماسونية، وبعض الحركات الظلامية كعبدة الشيطان وغيرها من الحركات، ترى أن --- --- --- الهلال هو أحد أهم شعاراتهم، ويتضاعر عبد الشيطان، وأتباع المذاهب الماسونية بحمل الميدالية، المتكونة من الهلال والنجمة، وعليهما السيف الأسطوري، ويرمز للمذبح الذي تقدم له القرابين من القطط والكلاب المذبوحة، ثم تسرب الهلال بعد ذلك إلى عدد من الأعلام لبعض الدول، التي ربما لم تنه إلى دلالة الهلال المقدسة، وإذا عرفنا هذا فإن رفع الهلال لا يدل على الإسلام في شيء، وإنما هو شعار للماسونية وعبدة الشيطان، إلا أنه من الحق أن يقال: إنه ليس كل من يستعمل الهلال يعني به هذه الظلال المقدسة للحركات الماسونية وعبدة الشيطان، لكن النتيجة: أن الهلال ليس رمزاً للإسلام، ولاشك أن الصليب هو رمز من رموز النصرانية، وهو أحد معتقداتهم التي تؤمن ببطلانها وانحرافها، لكن الخروج في مظاهرات فيها مسلمون ونصارى، ويرفع النصارى فيها الأعلام التي بها صلبان، وكان المقصود بذلك بيان وحدة المجتمع المسلم وأنه وحدة متماسكة، مسلمين ومسيحيين، فمثل هذا جائز شرعاً، مع إنكار المسلم بقلبه الصليب، إذ فيه اعتقاد بخلاف ما جاء في القرآن الكريم. انظر: جريدة عقيدتي، الثلاثاء ٢٤ من ربيع الثاني سنة ١٤٣٢هـ ـــ ٢٩ مارس ٢٠١١م، ص ٤.

تأثرت بها، عندما كنا نصلي الجمعة، كانت هناك صعوبة في سماع صوت الإمام بوضوح، وكان هناك من يردد وراءه، حتى يسمعنا، وبعد الانتهاء من الصلاة، اكتشفت أن إخواننا من الأقباط، هم الذين كانوا يرددون [1]، لقد رفع القرآن جنباً إلى الإنجيل، وتشابكت يد الأزهري المسلم مع القبطي [2]، والمسلمون يقومون بحماية الأقباط عندما يقيمون قداسهم، والأقباط يقومون أيضاً بحماية المسلمين عند أدائهم صلاتهم.

يقول الأنبا/ موسى، الأسقف العام للشباب بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية: (كان مما أنتج صمودنا مشاركة مئات الشباب المسيحي مع إخوانهم المسلمين، في ثورة يناير المباركة، التي اكتسحت عروش الفساد والاستبداد، كما أسعدنا منظر شبابنا، إذ يصلي المسلمون، وإخوانهم المسيحيون يقفون بجانبهم، ويصلي الأقباط وإخوانهم المسلمون يتابعونهم، لتصير الجميع، في حب عجيب، ارتفع فوق كل الفروق الدينية) [3]، واختلطت دماء الشهداء والمصابين، بعضهم ببعض، دون تفرقة بين مسلم وقبطي.

ومن أعجب ما نقرأ أن أحد المتظاهرين المسلمين يقول: كنت أتوضأ بزجاجة مياه، فوجدت أحد الأشخاص يمسك الزجاجة مني، ليصب الماء، وبعد أن انتهيت من الوضوء، قال لي: هل وضوؤك صحيح أم لا، فسألته لماذا؟ فقال لي: لأني أنا مسيحي، فقلت له: صحيح [4].

إن المشهد في الميدان كان دالاً على ما تتبناه الثورة، فعندما كان أحدهم يرفع شعاراً دينياً، أو يردد هتافاً دينياً، كان المحيطون به، يجبرونه على التوقف، مرددين: لا نريد شعارات، أو لافتات دينية [5]، وهذا من رحمة الله ـ تعالى ـ، وإلا

(١) جريدة شاشتي، ٥ ربيع الثاني ١٤٣٢هـ ـ ١٠ مارس ٢٠١١م، عدد ٦٠٧، ص ٢٣.

(٢) رأيت ذلك بعيني ورأى الملايين ذلك.

(٣) جريدة الأهرام، الثلاثاء ١ مارس ٢٠١١م، ص ١٢.

(٤) جريدة الشروق، ٢ أبريل سنة ٢٠١١م، ص ٧.

(٥) جريدة المصري اليوم، الخميس ١٩ ربيع الآخر ١٤٣٢هـ ـ ٢٤ مارس ٢٠١١م، ص ١٧.

لسقوا قتلاً، وماتوا ضرباً، بأيدي رجالات النظام.

وهكذا تلقم الثورة حجراً في أفواه كل من يدعون زوراً وبهتاناً ــ وجود فتنة طائفية بين مسلمي مصر وأقباطها، وبات ذلك وهماً لا أساس له من الصحة، يقول الرئيس الأمريكي (أوباما) على خلفية ما ذكرنا آنفاً من حراسة القبطي للمسلم أثناء صلاته والعكس: إننا تأكدنا الآن أنه لا توجد فتنة، ولا انقساماً بين المسلمين والمسيحيين في مصر، وليس هناك أي اضطهاد ديني، فالمسلمون والمسيحيون يقفون معاً،ولا أحد يستطيع أن يحدد من يكون مسلماً،ومن يكون مسيحياً [1] وهذه كانت ظاهرة مبهرة للعالم [2]، فقضى الميدان على الطائفية المقيتة، التي يبغضها الإسلام، لأن علاقته مع أتباع الأديان الأخرى مبنية على أسس من التسامح والبر والعدل.

وتلك القيم لابد للدعاة من بيانها وعدم كتمانها، فلن ينشر قيم التسامح مع الآخر أحد مثل الدعاة، قال ﷻ: ﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ سورة الممتحنة، الآية: ٨.

وروى أبو داود (ت ٢٧٥هـ) في سننه، أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة ﴾ [3].

وإن لقبط مصر شأن خاص ومنزلة متميزة عند رسول الله ﷺ حيث قال لأصحابه: ﴿ إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحماً، أو قال ذمة وصهراً ﴾ [4].

---

(١) مجلة التصوف الإسلامي، العدد: ٣٨٨، ربيع الآخر ١٤٣٢هـ ــ مارس ٢٠١١، ص: ١٢.

(٢) نفس المصدر والموضع.

(٣) كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب: في تعشير أهل الذمة ٣/ ١٧٠، رقم: ٣٠٥٢، وسكت عنه أبو داود.

(٤) صحيح مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: وصية النبي ﷺ بأهل مصر ٤/ ١٩٧٠، رقم: ٢٥٤٣.

وقد ظهرت معاني وتطبيقات تلك الأحاديث على أهل مصر، فهي لم تكن شعارات جوفاء في الميدان فحسب، بل امتدت ــ ببركة جهود الدعاة ــ حتى بعد نجاح الثورة، في أيام الشدائد، وهدم كنيسة بقرية صول ــ مركز أطفيح ــ بمحافظة حلوان ــ فكان المسلم والمسيحي أيضاً يداً واحدة، إذ أعلن اتحاد شباب الثورة تضامنه واعتصامه مع الإخوة الأقباط حتى تتحقق مطالبهم في بناء الكنيسة مرة أخرى، واحتشد الآلاف من المتظاهرين في ميدان التحرير يوم الجمعة الموافق ١١/ ٣/ ٢٠١١م، رافعين شعارات منددة بأحداث الفتنة الطائفية، وباليد الخفية التي تعبث بأمن ووحدة مصر، وردد المتظاهرون من المسلمين والمسيحيين، وأيديهم متشابكة (مسلم ــ مسيحي ــ يد واحد)، مؤكدين أن من تسبب في تلك الفتنة، هم أذيال وفلول النظام السابق، الذي أسقطته الثورة، كما تعالت أصوات المتظاهرين بعد أدائهم صلاة الجمعة بشعارات (الشعب يريد الوحدة الوطنية ــ عاش الهلال مع الصليب ــ وطن واحد وشعب واحد)ومن أهم الشعارات حاملة شعار الوحدة (مسلم + مسيحي = مصر) [1].

الجدير بالذكر أن شيخ الأزهر د/ أحمد الطيب ــ حفظه الله ــ دعا إلى ضرورة إعادة بناء الكنيسة بالقرية، في مكانها، وأعرب عن أسفه لهدم تلك الكنيسة، مشيراً إلى أنه سابقة في التاريخ العربي والإسلامي، ويمثل أمراً غريباً وشاذاً، تتبرأ منه التعاليم الإسلامية، ووصف الاعتداء بأنه (يشوه صورة الإسلام).

وأوفد الإمام الأكبر وفداً من كبار علماء وأئمة الأزهر إلى قرية صول لوأد الفتنة الطائفية، وضم الوفد د/ محمود عزب، مستشار شيخ الأزهر للحوار، أ.د/ عبد الله بركات، عميد كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة الأسبق، د/ أحمد حماية، إمام مسجد سلطان [2].

---

(١) انظر: جريدة الأهرام، عدد السبت ٧ ربيع الآخر ١٤٣٢هـ ــ ١٢ مارس ٢٠١١م، ص٣.

(٢) انظر: جريدة الأهرام، عدد الأربعاء والخميس ٤، ٥ ربيع الآخر، ١٤٣٢هـ ــ ٩، ١٠ مارس ٢٠١١م، ص ١، ٥.

وهناك رموز دينية أخرى، مشهود لها بالتجرد والصدق، شاركت في إزالة الضغائن، وعودة الحياة الآمنة إلى قرية صول مثل الشيخ/ محمد حسان، والشيخ/ صفوت حجازي، فجزي الله كل من يعمل للإسلام خير الجزاء [1].

المطلب السادس

الحفاظ على اللغة العربية

أظهرت الثورة بلاغة المصريين، وعدم عوج لسانهم، ولكنة لغتهم الأصلية، مهما حازوا من لغات أخرى، حيث كان المتوقع من شباب فيس بوك، الذين كانوا في الصدارة من الثورة، أن تكون شعاراتهم على نفس مستواهم الفكري والاجتماعي، أقرب إلى العامية منها إلى الفصحى، وإلى رطانة الأعاجم أكثر من اللغة العربية، مناسباً ذلك لمستواهم العلمي الرفيع في الكليات الأجنبية، التي تخرجوا بها، ولكن ــ رغم ذلك ــ خاب الظن، وسيئ بالتفكير، فعادوا بالشعارات إلى فطرتهم النقية، وعربيتهم الخاصة، وراحوا يهتفون بهتاف لغوي فصيح، يملأه حرارة الشعور، وتحوطه ينابيع الوجدان، ويباركه الرب في السماء، مرددين: الشعب يريد إسقاط النظام، وقد حفظ الصغار قبل الكبار ذلك الشعار.

وكأني بهم يهتفون للناس جميعاً: لا مانع من تعلم اللغات الأخرى، والإلمام بالأيديولوجيات الخاصة بالآخرين، كي لا نكون في ذيل القافلة، وفي تعداد الدول

---

(١) وقد شدد فضيلة د/ علي جمعة، مفتي الديار المصرية على أن الاعتداء على الكنائس، بالهدم، أو تفجيرها، أو قتل من فيها، أو ترويع أهلها الآمنين، من الأمور المحرمة في الشريعة الإسلامية السمحة، وهو بمثابة التعدي على ذمة الله ورسوله، وفاعل ذلك خصيمه رسول الله ﷺ يوم القيامة. انظر: صوت الأزهر، عدد الجمعة ١٣ ربيع الآخر ١٤٣٢هـ ــ ١١ مـــارس ٢٠١١م، ص ٧، وجريدة الأهرام، يوم الأحد ١٣ مارس ٢٠١١م، ص٩، ووصف د/ القرضاوي هذا الفعل بالعمل الشيطاني، وقال: إن الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين يحرم ويجرم وينكر كل الإنكار الجريمة العدوانية الحمقاء، بهدم كنيسة يحترمها الإسلام ويحرسها حتى يقاتل في سبيل حمايتها، لقوله تعـــالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ سورة الحج، الآية: ٤٠، انظر: جريدة الأهرام، عدد الجمعة، ٦ ربيع الآخر ١٤٣٢هـــ ١١ مارس ٢٠١١م، ص ٤.

النامية، وقد قال ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ سورة إبراهيم، الآية: ٤، وعندما بدأ الرسول ﷺ يبعث كتباً إلى الملوك والرؤساء، خرج ستة نفر في يوم واحد، وذلك في المحرم سنة سبع، وكان كل رجل منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم (١)، وعن زيد بن ثابت (٢) قال: ﴿ أمرني رسول الله أن أتعلم له كتاب يهود، قال: إني والله ما آمن يهود على كتاب، فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته ﴾ (٣).

بيد أنه لا غنى لنا عن لغتنا، فهي مجدنا، وتاريخنا، وطريق سعادتنا، وأساس نهضتنا، وبها تعرف هويتنا، في عصر ضاعت فيه الهويات، وانخرطت القوميات والجنسيات.

قال عمر بن الخطاب (٤) ﷺ: ﴿ تعلموا العربية، فإنها من دينكم، وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم ﴾ (٥).

وهذا الذي أمر به عمر ﷺ من فقه العربية وفقه الشريعة، يجمع ما يحتاج إليه، لأن الدين فيه فقه أقوال وأعمال، ففقه العربية: هو الطريق إلى فقه أقواله، وفقه السنة: هو الطريق إلى فقه أعماله، ولهذا كتب عمر ﷺ إلى أبي موسى

---

(١) محمد بن يوسف الصالحي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ١١/ ٣٤٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، سنة ١٤١٤هـ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض.

(٢) هو أحد من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ، وكان مترسلاً بالمدينة في الفتوى والقراءة والفرائض في عهود الخلفاء الراشدين، ت ٤٥هـ، انظر: طبقات ابن سعد ٢/ ٣٦٠.

(٣) سنن الترمذي، كتاب: الاستئذان، باب: ما جاء في تعلم السُّرْيانية ٥/ ٦٧، رقم: ٢٧١٥، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) أحمد عبد الحليم ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ص ١٩٠، دار الحديث، القاهرة، ط/١، سنة ١٤١٢هـ، تحقيق: عصام الدين الصبابطي.

الأشعري [١] ﷺ: أما بعد، فتفقهوا في السنة، وتفقهوا في العربية [٢].

قال ابن تيمية ــ رحمه الله ــ (ت٧٢٨هـ): إن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب [٣].

ويؤكد الداعية على أن اللغة لها دور خطير في توحيد الأمة، وهاك مثالين يوضحان ذلك:

الأول: (أيرلندا) [٤] التي رزحت تحت الاحتلال الإنكليزي، منذ أوائل القرن الثاني عشر الميلادي، وذاقت منه الويلات، خصوصاً على يد (كرومبل)، الذي أعمل السيف في رقاب الأيرلنديين، وشحن عشرين ألفاً من شبابهم، وباعهم عبيداً في (أمريكا)، ونفي أربعين ألفاً خارج البلاد، وتمكن من طمس هويتهم بمحو لغتهم الأيرلندية، وتذويبهم في المجتمع البريطاني، ولما حاول الأيرلنديين الوطنيين بعث أمتهم من جديد، أدركوا أن هذا لا يتم مادامت لغتهم هي الإنكليزية، ومادام شعبهم يجهل لغته التي تميز هويته، وتحقق وحدته.

وأسعفهم القدر بمعلم يتقن لغة الآباء والأجداد، دفعه شعوره بواجبه إلى وضع الكتب التي تقرب اللغة الأيرلندية إلى مواطنيه، فهبوا يساعدونه في مهمته، حتى انبعثت من رقادها، وشاعت، وصارت النواة التي تجمع حولها الشعب، فنال استقلاله، واستعاد هويته، وكافأ الشعب ذلك المعلم بانتخابه أول رئيس لجمهورية

---

(١) اسمه عبد الله بن قيس بن سليم، أسلم بمكة، وهاجر إلى الحبشة، وأوتي في قراءة القرآن مزماراً من مزامير آل داود عليه السلام، ت ٥٢هـ، انظر: طبقات ابن سعد ٤/١٠٥ ــ ١١٥.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ص ١٩٠.

(٣) نفسه ص ١٩٠، وانظر: الإمام عبد الرءوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير ٦/ ٣٨، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط/١، سنة ١٣٥٦هـ.

(٤) تقع أيرلندا في الجزء الشمال الغربي من القارة الأوربية، شمال المحيط الأطلنطي، يفصل بينها وبين بريطانيا البحر الأيرلندي.

(أيرلندا) المستقلة، هو الرئيس (ديفاليرا) [١].

الثاني: (ألمانيا) التي كانت مقاطعات متفرقة متنابذة، إلى أن هب (هَرْدِر) الأديب الألماني الشهير في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، ينادي بأن اللغة هي الأساس الذي يوحد الشعوب، والنواة التي تؤلف بينها، فانطلق الأدباء يعكفون على تراثهم القديم، أيام كانوا أمة واحدة، وقاموا بإنعاش تراثهم الأدبي، ونسجوا حوله قصصاً وبطولات خلبت [٢] ألباب الشباب، وتغنوا بجمال بلادهم، وأمجاد أسلافهم، فتجمعت عواطفهم على حب الوطن الكبير، وتطلعت نفوسهم إلى الانضواء تحت لواء "هوية ألمانية" واحدة، الأمر الذي مهد الطريق أمام "بسمارك" لتعبئة الشعور القويم، وتوحيد ألمانيا، وإقامة الإمبراطورية الألمانية التي كان بسمارك" أول رئيس وزارة (مستشار) لها [٣].

فإذا كان ذلك عمل اللغة بالدول، ساهمت في توحيدها تحت راية واحدة، وحررت الأقوام من نير الاحتلال، وظلم الاستعباد، فلا أدري لم هانت اللغة العربية على أهلها، وانتشرت العامية المبتذلة بين جماهير الناس؟! وما لا شك فيه ــ كما قال د/ محمود حافظ، رئيس مجمع اللغة العربية: أن هناك ثمة علاقة لمستوى ونوعية التعليم الآن بتدهور اللغة العربية، فهناك ٢٥٠ مدرسة من الحضانة إلى التعليم الثانوي لا تدرس اللغة العربية، و ١٨ جامعة مصرية التعليم فيها كاملاً بالإنجليزية، بالمخالفة لقانون الجامعات الصادر عام ١٩٢٥م، الذي ينص على أن يكون التعليم باللغة العربية، ويجوز استثناء التدريس بلغة أجنبية بصفة مؤقتة، وعشرات الآلاف الذين يتخرجون

---

(١) اسمه إيمون دي فاليرا (١٨٨٢ ــ ١٩٧٥م) أحد زعماء أيرلندا الذين كافحوا من أجل نيل الاستقلال، وكان رئيس أيرلندا من عام ١٩٣٢م إلى ١٩٣٧م، انظر على شبكة الانترنت، ويكيديا، الموسوعة الحرة، مادة ديفاليرا، ٢٦/ ٥/ ٢٠١١م.

(٢) الخلابة: الخديعة باللسان، انظر: مختار الصحاح، ص ١٨٣، مادة: خلب.

(٣) محمد بن أحمد إسماعيل المقدم، الهوية الإسلامية، ص ٦٥، ٦٦، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط/١، سنة ١٤٢٦هـ ــ ٢٠٠٥م.

من هذه الجامعات لا علاقة لهم باللغة العربية، بل انتماؤهم يكون لتلك اللغات وللبلاد صاحبة هذه اللغات،وتزيد الهوة بين خريجي هذه الجامعات الأجنبية وخريجي الجامعات المصرية، وهناك قانون صادر سنة ١٩٥٨م في عهد الرئيس (جمال عبد الناصر) [١] ينص على منع كتابة الكلمات الأجنبية في الشوارع وعلى المحلات، لكنه لم ينفذ، والغريب أن ليبيا نفذت ذلك القانون بصرامة، وتدرجت فيه العقوبة من الإنذار إلى الغرامة، ثم سحب الرخصة، فالحبس تنفيذاً لتوصية مجمع اللغة العربية هناك [٢].

إن سبب بقاء اللغة العربية هو العامل الأيديولوجي ــ الديني ــ لأنها هي اللغة الدينية لأكثر من المليار ونصف المليار من البشر، غير أنها هانت على أبنائها فهانت على الآخرين، ولعل ما سمعناه مؤخراً من أن هيئة الأمم المتحدة تفكر جدياً في إلغاء اللغة العربية داخل جلساتها، يؤكد ذلك، والسبب أن مندوبي الدول العربية يتحدثون باللغة الإنجليزية، وفي حالة حديثهم بالعربية ينطقون بالعاميات، ومن ثم فلا يستطيع المترجمون الترجمة، واليوم ونحن على مقربة من عقد مجمع اللغة العربية بالقاهرة لدورته الجديدة، والتي يشارك فيها ممثلو المجامع اللغوية العربية، بل يواجه تلك الكارثة؟ الأمر يتطلب سرعة تحرك تلك المجامع، وكذلك جامعة الدول العربية، لمناصرة اللغة العربية خارج وطنها بإلزام مندوبي الدول العربية بالتحدث بالفصحى، ودفع مخصصات الترجمة، الأمر جد خطير، لا يحتمل التأخير، فإذا ما ضاعت اللغة ضاع الإنسان [٣]، ولكن كلنا تفاؤل بعدم ضياع اللغة العربية،

---

(١) الرئيس الثاني لمصر، (١٣٣٦ ــ ١٣٩٠هـ/ ١٩١٨ ــ ١٩٧٠م) انظر: الأعلام، للزركلي ٢/ ١٣٤ ــ ١٣٥.

(٢) جريدة الأهرام المصرية، عدد الثلاثاء ٧ من سبتمبر سنة ٢٠١٠م، ص ٢١.

(٣) جريدة صوت الأزهر، عدد الجمعة ٢٦ من جمادى الأولى ١٤٣٢هـ ــ ٢٩ من أبريل ٢٠١١م،ص ٩، بل وضياع الدين، ونحن ــ والله أعلم ــ ما جعل (جان فرانسو أكوبي، أحد مستشاري الرئيس الفرنسي ساركوزي) يصرح بضرورة إلقاء خطبة الجمعة باللغة الفرنسية، خلال النقاش الذي يتعلق بوضع الإسلام والعلمانية في فرنسا، وأعلن دليل بو بكر رفض المسلمين في فرنسا هذا التصريح، وقال للنظام: لا تمسوا مقدسات ديننا. انظر: مجلة الأزهر، عدد جمادى الآخرة سنة ١٤٣٢هـ ــ مايو ٢٠١١م، ص ٩٧٢، والجدير بالذكر أن نصف لغات العالم مهددة وعددها ستة

لأنها لغة القرآن، والقرآن لن يضيع أبداً، ما علينا سوى تكاثف الجهود من أجل الحفاظ عليها، في مدارسنا، وجامعاتنا، ودور علمنا.

آلاف لغة، مهددة بالاختفاء، حيث أفادت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونيسكو) أن عشرات اللغات الموجودة في ألمانيا (مثلاً) سواء كانت محلية أو تتحدثها أقليات مهددة بالانقراض، وقالت لجنة تمثيل ألمانيا لدى المنظمة: إن لغة من بين لغات العالم تختفي كل أسبوعين تقريباً. انظر: مجلة الوعي الإسلامي، عدد (٥٤٩)، جمادى الأولى ١٤٣٢هـ ـــ أبريل/ مايو ٢٠١١م، ص ٩٢.

المطلب السابع

العفـــــــاف

أثارت ثورة الشباب في ٢٥ يناير، وعلى مدى ١٨ يوماً قضاها المعتصمون في ميدان التحرير جدلاً كبيراً في العديد من القضايا الاجتماعية، التي شغلت اهتمام الرأي العام، خلال السنوات الأخيرة، تأتي على رأسها اختفاء ظاهرة (التحرش الجنسي)، بين جموع المتظاهرين، في أكبر تجمعات شهدتها مصر، وصلت إلى أكثر من مليون.

أكد المحللون أن الكبت السياسي الذي عانى منه الشعب في ظل النظام السابق هو السبب الرئيس في ظهور التحرش الجنسي، الذي لم يكن موجوداً في فترات سابقة، وهو ما أثبتته إحصائيات خريطة التحرش الجنسي التي لم تسجل أي واقعة طوال فترة الثورة.

نهاد أبو القمصان ــ رئيس المركز المصري لحقوق الإنسان ــ قالت: تسبب الكبت السياسي الذي قسم الشباب إلى خائف من الانتماء إلى أي تيار سياسي أو التعبير عن رأيه والاشتراك في العمل العام، فمال الكثير منهم إلى التنفيس في التحرش بالجنس الآخر، وهو ما يفسر لنا انتشار حالات التحرش، وأضافت: كلما زاد معدل ثقافة الشباب ودرجة وعيه وتعليمه انخفضت حالات التحرش، لأنهم وقتها ينظروا إلى المجتمع نظرة بنائية، وهو ما ظهر طوال فترة الثورة، حيث نزل إلى التحرير نخبة من الشباب لم يكتفوا بعدم التعرض للفتيات، بل قاموا بحمايتهن [1] على الرغم من ملابس بعضهن المتحررة أحياناً، ولكن نبل الهدف، وطهارة القلب، قضيا على الأفكار السيئة، والأخلاق الذميمة.

تقول إحدى الأمهات: (كنت أخاف على بناتي عندما يخرجن إلى المدرسة، ولكني في ميدان التحرير كنت أنا مع بناتي وسط مئات الآلاف من الرجال، ولا

---

(١) World New Egypt،تاريخ خريطة التحرش الجنسي...آخر أخبار مصر والحوادث في العالم، تاريخ ٥/ ٣/ ٢٠١١م.

ينتابني أي خوف ولو للحظة، فكنا نشعر بالأمان) [١].

كان الشاب ينظر إلى المرأة التي تشاركه أهدافه، على أنه لا يحق له امتهان إنسانيتها، ولا يجوز انتهاك حرمة جسدها، وإنما تلك المرأة لها حقوق، يجب أن تصان عنها أيادي الغدر، ووساوس النفس، وهذا شعور بالمسئولية، لا ند له.

وبحسب دراسة أجراها المركز المصري لحقوق المرأة ــ قبل الثورة ــ تعرض عدد كثير من النساء إلى التحرش الجنسي، حيث يتعرضن للتحرش باللفظ في الشارع، وأحياناً باللمس في الأماكن المزدحمة، سواء كن محجبات أم لا [٢] فالشارع المصري قبل الثورة كان شارعاً لا أخلاقياً، على خلاف ذلك نجد اختفاء الحالات في أيام الثورة، برغم التجمع المليوني الذي وقع، وهو ما يعني أنه في لحظة واحدة، استرد المجتمع المصري كله مثله ومعانيه السامية، حيث تشير هذه الظاهرة إلى أن الثورة المصرية، التقت مع التنظير النوري، الذي يرفض الواقع المتردي بحثاً عن معان فاضلة [٣]، فهم كالمجاهدون، والمجاهد لا يدع نفسه أسيرة لدى شهوة خسيسة، يحيط به وزرها، فينهزم في الميدان، ويرجع خاسئاً وهو حسير، ولكن ضرب شبابنا ــ في الميدان ــ المثل في خذلان إبليس ــ لعنه الله ــ قال سعيد بن المسيب [٤]: ما يئس الشيطان من ابن آدم قط إلا أتاه من قبل النساء

---

(١) مجلة البيان، الجمعية الشرعية، العدد الحادي والثمانون، ربيع الآخر، سنة ١٤٣٢هـ ــ مارس سنة ٢٠١١م، ص ٢١.

(٢) مجلة الشرق الأوسط، الاثنين ٢ ربيع الثاني، سنة ١٤٣٢هـ ــ ٧ مارس سنة ٢٠١١م.

(٣) د/ عمرو هاشم ربيع، ثورة ٢٥ يناير، قراءة أولية ورؤية مستقبلية، ص ١٧٣، مطبوعات مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، مارس ٢٠١١م.

(٤) هو سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي، أبو محمد، من كبار التابعين وقال عنه مولاه برد: ما نودي بالصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد. انظر في ترجمته: ابن الجوزي، صفة الصفوة ٢/ ٧٩/ ٨٠، ٨١، دار المعرفة، بيروت، ط/٢، سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، تحقيق: محمود فاخوري، د/ محمد رواس.

(١)، فهن فتنة كبرى، وبلاء عظيم، ابتلى بهن العبد في طريق سير القلب إلى الله، فعن أسامة بن زيد (٢) ﷺ أن النبي ﷺ قال: ﴿ ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء ﴾ (٣).

لك أن تدرك ذلك جيداً:

ـ إذا فهمت سر تقديمهن في الشهوات التي تغري الإنسان، في قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ﴾ سورة آل عمران،الآية: ١٤، فبدأ بهن، لأنهن حبائل الشيطان، وأقرب، وأكثر امتزاجاً (٤).

ـ وإذا فقهت تلك المعادلة الصعبة، ذات النتيجة المحبوبة، في قوله ﷺ:

---

(١) أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ذم الهوى، ص ١٦٤، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، سنة ١٩٦٢م، بدون دار نشر.

(٢) مولى رسول الله ﷺ وابن مولاه، وحبه وابن حبه، توفي رسول الله ﷺ وعمره تسع عشرة سنة، وكان عمر إذا لقيه يقول: السلام عليك أيها الأمير، مات سنة ٥٤هـ، انظر: البداية والنهاية ٨/ ٦٩ ـ ٧٠.

(٣) متفق عليه، البخاري، كتاب: النكاح، باب: ما يتقى من شؤم المرأة ٥/ ١٩٥٩، رقم: ٤٨٠٨، مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، باب: بيان أن أكثر أهل الجنة فقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء ٤/ ٢٠٩٧، رقم: ٢٧٤٠، وللمرأة فتنتان، عامة وخاصة، فالعامة: الإفراط في الاهتمام بأسباب المعيشة، وتعيير المرأة زوجها بالفقر، فيكلف ما لا يطيق، ويسلك مسلك النهم المذهبة لدينه، والخاصة: الإفراط في المجالسة والمخالطة، فتنطلق النفس عن قيد الاعتدال وتستروح بطول الاسترسال، فيستولي على القلب السهو والغفلة، فيقل الوارد لقلة الأوراد، ويتكدر الحال لإهمال شروط الأعمال، انظر: الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي،التيسير بشرح الجامع الصغير ٢/ ٣٤٦، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط/٣، سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٤) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط ٢/ ٤١٤، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/١،سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، تحقيق: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون.

﴿من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه، أضمن له الجنة﴾ [١]، والحديث دال على أن أعظم البلاء على العبد في الدنيا اللسان والفرج، فمن وقي شرهما فقد وقي أعظم الشر [٢].

وهنا نفتح آفاق للداعية ليوضح أنه: ليس معنى ذلك أن الإسلام يقول بالكبت الجنسي، واستقذار الشهوة، فإن الفتى الشاب حين يحس بالرغبة الغريزية، لا يحتاج في الإسلام أن يستعيذ بالله من هذا الإحساس المجرد، لأن الإسلام يقرر في صراحة أن هذه الرغبة أمر طبيعي لا نكران له، ولا خلاف عليه، ولكننا نعلم أن الإسلام لم يبح للشاب أن يطيع هذا الهاتف الغريزي، حسبما اتفق، بلا حدود ولا قيود، وإنما وضع لذلك حدوداً لا يجوز أن يتعداها، ووضع ضوابط للعفة والتسامي يجب أن يأخذ بها، حتى لا يضل ولا ينحرف، ولا يحطم شخصيته على صخرة الشهوات، ولا يفتت كيانه تحت مطارق [٣] الإباحية.

وهذا الذي وضعه الإسلام ليس من الكبت في شيء، لأن تحلي الشاب بفضيلة العفة والتسامي هو تعليق الشهوة لأجل، وهذا التعليق ينظم النشاط الجنسي ويلطفه ويصعده، ولكن لا يقطعه من منبته [٤]، وقد نادي الرسول ﷺ الشباب خاصة فقال:﴿ يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج،فإنه أغض للبصر،وأحصن للفرج،ومن لم يستطع فعليه بالصوم،فإنه له وجاء ﴾ [٥].

وتحية قلبية لهذا الشباب الثائر الذي استطى خلق العفة ركاباً له، فدفعوا عوائل الشهوة، وتحرروا من رقيها، وما رضوا أن يكون بالميدان فوضى جنسية

---

(١) صحيح البخاري، كتاب: الرقاق، باب: حفظ اللسان، ٥/ ٢٢٧٦، رقم: ٦١٠٩.

(٢) الإمام أبو الحسن علي بن خلف بن بطال، شرح صحيح البخاري ١٠/ ١٨٦، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط/٢، سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم.

(٣) أطرق الرجل: أي سكت فلم يتكلم، مختار الصحاح،ص ٣٩١، مادة: طرق.

(٤) د/ عبد الله ناصح علوان، الإسلام والجنس، ص ٣٣، ٣٤، دار السلام، القاهرة، ط/٥، سنة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

(٥) متفق عليه، البخاري، كتاب: النكاح، باب: من لم يستطع الباءة فليصم ٥/ ١٩٥٠، رقم: ٤٧٧٩، ومسلم، كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ٢/ ١٠١٨، رقم: ١٤٠٠.

حيوانية، وعلى عتبات ذلك تسقط نظرية فرويد [1] عندما قال: (إن الكيان البشري لا يمكن أن يتحقق تحققاً كاملاً، إلا بإطلاق الطاقة الحيوية التي ... حيثية في زعمه، أي أنه لا يتحقق للإنسان كيانه إلا بأن ينقلب الناس كالحيوانات يمارسون الجنس بغير قيود، وإن أي قيد يصنع كبتاً واضطرابات جنسية) [2].

وكيف يمكن لمجتمع يشعر بالسعادة والاطمئنان والأمن، إذا اتخذ من رأي فرويد عصا يتوكأ عليها، فصار كالحيوان ينزو على قرينته، ريثما يروق له.

ويمكن للداعية عقد مقارنات بين تلك المذاهب الضالة، وآرائها في اللذة والشهوة والجنس، وأحكام الإسلام الرائعة في نفس الباب، حيث يجد الناس في الإسلام دعوته السامية إلى الطهر والعفاف، والمحافظة على الأعراض والأنساب، فيهتدون بهدي الله، ويستظلون بشرعه القويم.

المطلب الثامن

النظافة

ظل ميدان التحرير، خلال أيام الثورة، نظيفاً، يجهد المعتصمون أنفسهم من أجل نظافته، وبعد إعلان خبر التنحي،وقبل مغادرة الميدان،رفع المعتصمون شعار (الشعب يريد تنظيف الميدان)، فامتلأت خيمة بحديقة التحرير، بمئات المكانس، والمساحات، وقفازات الأيدي، وكمامات الوجه،وأكياس القمامة [3]، وارتدت مجموعات من الرجال والنساء والأطفال سترات عليها لافتة مثبتة على ظهورهم، كتب عليها (بفخر أقوم بتنظيف مصر)، ورفع بعضهم لافتات (أمس كنت متظاهراً،

---

(١) هو سيجموند فرويد (١٨٥٦ ــ ١٩٣٦م)، صاحب مدرسة في التحليل النفسي، تفسر السلوك الإنساني تفسيراً جنسياً، وتجعل الجنس هو الدافع وراء كل شيء، والقيم والعقائد حواجز وعوائق تقف أمام الإشباع الجنسي، انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ٣٧٥ وما بعدها، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

(٢) محمد قطب، الإسلام كبديل عن الأفكار والعقائد المستوردة، ص ١١٠، مكتبة السنة، القاهرة، ط/١، سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

(٣) جريدة المصري اليوم، الاثنين ١٤ فبراير ٢٠١١م.

والبوم أبني مصر) [1].

وفي مظهر حضاري، يعبر عن مدى رقي شباب مصر، قام خمسة آلاف متظاهر، بحملة تنظيف، لإزالة آثار ١٨ يوماً من الاحتجاج، احتواها هذا الميدان، وقام الشباب والفتيات، الغني والفقير، من يملك أعلى الشهادات، ومن يملك أدناها، بكنس الميدان، وإزالة المخلفات والحجارة عن أرض الميدان، كما استخدموا خراطيم المياه لغسيل الأرض بعد تنظيفها، ليعود الميدان إلى مظهره الحضاري، بل أنظف من ميادين أوربا [2]، ثم سيطرت روح التحرير على شباب مصر، وانتقلت إلى أحياء أخرى، وقسم الشباب أنفسهم إلى مجموعات، وبدأوا حملات لتنظيف الشوارع والميادين، وجمع القمامة،مرتدين الوناً موحدة،حاملين أدوات النظافة، ومواد مطهرة، ودهانات للأرصفة [3].

وهذا ما أبهر العالم كله، الذي وقف مندهشاً، ومشيداً بشباب مصر، العاشق لوطنه، والذي قام بثورة بيضاء نظيفة، ليبدأ بعدها، تنظيف وتجميل الميدان الذي شهد الثورة [4]، تقول شبكة (سي، إن، إن) الأمريكية: لأول مرة نجد شعباً يقوم بثورة، وينظف الشوارع بعدها [5]، إن شبكة (سي، إن، إن)، تتوقف أمام شيء نادر في العالم، وهو أن يقوم شعب بثورة في ميدان من الميادين، وحين يحقق أهداف ثورته، فإنه لا يحمل أشياءه فقط، ويعود إلى بيته، ولكنه يحرص على أن ينظف الميدان، ليعيده كما كان، قبل أن ينصرف، هذا هو الجديد، وهذا هو الذي جعل الشبكة الأمريكية تصف ما جرى بأنه يحدث لأول مرة، بما يعني أن أي مكان في العالم لم يشهد شيئاً مماثلاً من قبل.

---

(١) جريدة اليوم السابع، ١٧ فبراير ٢٠١١م.

(٢) Hllp/WWW Masrawy. Com ١٢ فبراير ٢٠١١م

(٣) مجلة حواء، عدد: ٦٨٤٠، ١٢ مارس ٢٠١١م، ص ٢١، جريدة الشرق الأوسط، الاثنين ١٤ ربيع الأول، سنة ١٤٣٢هـ ـــ ١٤ فبراير سنة ٢٠١١م.

(٤) جريدة الأخبار، السبت ١٤ من ربيع الآخر سنة ١٤٣٢هـ ـــ ١٩ مارس سنة ٢٠١١م، ص ٧.

(٥) جريدة الأزهر الشريف، عدد ربيع الآخر ١٤٣٢هـ ـــ مارس ٢٠١١م، ص ٦٢٧.

الذين نظفوا الميدان من الشباب، منحوا بلادهم أرفع وسام [١]، وله دلالات عديدة منها:

ـ أن ما تم إفساده سيقوم الشعب بإصلاحه.

ـ سيتم تطهير الدولة من جميع رموز الفساد والاستبداد.

ـ مساعدة القوات المسلحة، راعية مبادئ الثورة، والمحافظة على شرعيتها.

ـ شعورهم الداخلي أن مصر عادت إليهم، ومن ثم فكل جزء منها له حق عليهم.

ـ تنظيف البقعة التي تحققت بها آمالهم، بعد أن تنفسوا من هوائها، وناموا على أرضها.

وهنا يوضح الداعية أنه: لا يوجد دين له قصب السبق في الحث على النظافة، مثل الإسلام، فهو دين النظافة بأوسع معانيها، نظافة اللسان، نظافة القلم، ونظافة القلب، ونظافة الفن، ونظافة البدن، ونظافة الطعام، ونظافة الثياب، فالنظافة (من سنة النبي ﷺ) [٢]، وليس من السنة ولا الشريعة ما خالف النظافة وحسن الهيئة في اللباس والزينة [٣]، وقد رأى النبي ﷺ رجلاً شعثاً فقال: أما كان هذا يجد ما يسكن به شعره، ورأى رجلاً عليه ثياب وسخة، فقال: أما كان هذا يجد ما يغسل به ثوبه [٤].

ومن أجل أهمية النظافة ومكانة الصلاة، جعل الصلاة لا تؤتي إلا بطهارة

---

(١) نفس المصدر من ذات الموضع.

(٢) أبو الحسن علي بن خلف بن بطال، شرح صحيح البخاري ١/ ٣٥٢.

(٣) أبو عمر يوسف بن عبد البر، الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار ١/ ٣٣٠، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/١، سنة ٢٠٠٠م، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض.

(٤) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، باب: ذكر الأمر بالإحسان إلى الشعر المربه، وتنظيف الثياب إذ النظافة من الدين ١٢/ ٢٩٤، رقم: ٥٤٨٣، مؤسسة الرسالة، ط/٢، سنة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

الأطراف، ونظافة الجسد كله، ونظافة اللباس من جميع الأقذار، ونظافة البقاع التي يصلي عليها [١].

يقول الإمام محمد الغزالي (ت ١٤١٦هـ): (وقد امتد هذا التطهير والتجميل من أشخاص المسلمين إلى بيوتهم وطرقهم، فإن الإسلام نبه إلى تخلية البيوت من الفضلات والقمامات، حتى لا تكون مباءة للحشرات، ومصدراً للعلل، وكان اليهود يفرطون في هذا الجانب، فحُذِّر المسلمون من التشبه بهم) [٢]، ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿ إن الله طيب يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود ﴾ [٣]، ومعنى فنظفوا أفنيتكم: فطيبوا كل ما أمكن تطييبه، ونظفوا كل ما سهل لكم تنظيفه، حتى أفنية الدار، وهي متسع أمام الدار، وهو كناية عن الكرم والجود، فإن ساحة الدار إذا كانت واسعة، نظيفة، طيبة كانت أدعى بجلب الضيفان، وتناوب الواردين والصادرين، وينهي النبي ﷺ عن التشبه باليهود في عدم النظافة والطهارة، وقلة التطيب، وكثرة البخل، والخسة والدناءة، وذلك لما ضربت عليهم الذلة والمسكنة [٤].

إنه لا يخلو امرؤ من الحاجة إلى السير في الطرقات لأداء مصالحه، وقضاء حوائجه، ومن ثم كانت الطرق عامة المنافع بين الجميع، لا يحل لأحد أن يمنع غيره من الناس عن الاستفادة منها بأي لون من الألوان، فإن حدث بالطريق ما يؤذي المارة،

---

(١) محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، تعظيم قدر الصلاة ١/ ١٧٠، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط/١، سنة ١٤٠٦هـ، تحقيق: د/ عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي.

(٢) الإمام محمد الغزالي، خلق المسلم، ص ١٥٨، دار الريان للتراث، القاهرة، ط/١، سنة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

(٣) سنن الترمذي، كتاب: الأدب عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في النظافة ٥/ ١١١، رقم: ٢٧٩٩، وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

(٤) محمد عبد الرحمن المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٨/ ٦٨، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، علي بن سلطان محمد القاري، مرقاة المصابيح شرح مشكاة المصابيح ٨/ ٣٢٠، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/١، سنة ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م، تحقيق: جمال عيتاني.

ل عليه ، فمن الواجب إزالته، وإعادة الوجه المشرق لهذه المنفعة العامة.

وقد اعتبر الإسلام القيام بهذا الواجب أحد شُعَب الإيمان، والتي لا يكتمل إيمان المرء إلا بها، ففي صحيح الحديث عن أبي هريرة (٢) يقول: قال رسول الله ﷺ: ﴿ **الإيمان** بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، **وأدناها إماطة الأذى عن** الطريق ﴾ (٣)، وبإماطة الأذى عن الطريق، تكفر السيئات، وينال الفاعل رضا رب الأرض والسموات، فعن أبي هريرة (٤) ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: ﴿ **بينما رجل يمشي بطريق وجد** غصن شوك، فأخذه، فشكر الله له، فغفر له ﴾ (٥).

هذا ويمكن للداعية أن يستنهض همم الناس لتبادل مثل هذه الخدمات العامة، وأن يتسامى بها عن مجرد كونها عادات، ويفهم الناس بأنها من صلب الدين وشعبه الأساسية.

ولقد رأيت من الدعاة من يجند الشباب لتقديم خدمة للمجتمع، تتمثل في القيام بتنظيف الحي اتباعاً لمنهج الإسلام.

ولاشك في أن الدعوة تحتاج إلى إحياء هذه المعاني عملياً، بعد أن صارت غريبة على ديننا ومجتمعاتنا، وعُرفت بها بلاد الكفر، حتى صار الجمود والتخلف

---

(١) الأشهر أن اسمه عبد الرحمن بن صخر، سماه الرسول عبد الله وقيل عبد الرحمن، وكناه بأبي هريرة، كان من حفاظ أصحاب النبي ﷺ، ت سنة ٥٩هـ، انظر ترجمته وافية في البداية والنهاية ٨/ ١٠٧ ــ ١١٨.

(٢) متفق عليه، البخاري، كتاب: المظالم، باب: من أخذ الغصن وما يؤذي الناس في الطريق فرمى به، ٢٠/ ٨٧٤، رقم: ٢٣٤٠، مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل إزالة الأذى عن الطريق ٤/ ٢٠٢١، رقم: ١٩١٤.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) د/ طلعت محمد عفيفي، القصص الصحيح في السنة النبوية، ص ٧٨، ٧٩، مكتبة الإيمان، القاهرة، ط/١، سنة ١٤٢٣هـ ــ ٢٠٠٢م، والحديث أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ١/ ٦٣، رقم: ٣٥.

يلصق ــ ظلماً وزوراً ــ بالإسلام، وتوصف مناهج البشر بأنها سبيل الرقي وسبب التقدم.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم [1].

وبعـــــد!!!

فتلك بعض الأخلاقيات التي برزت في ميدان التحرير، بين المتظاهرين، والمعتصمين، وكما رأينا، أنها وثيقة الصلة بالإسلام، وكل سلوك وخلق، ذكرت له شواهد ودلائل من الكتاب والسنة، لأبين كيف أن الإسلام حرك هؤلاء، قولاً وفعلاً، خلقاً وسلوكاً، ويشرت هذه الروح الجديدة التي أطلقتها الثورة، بعودة الخصال النبيلة، والقيم الفاضلة، وأذنت بالتخلص من الأمراض الاجتماعية والسلوكية، التي اعترت الجسد المصري، على مدى ثلاثة عقود.

ومما يؤكد ذلك التقارير التي أوردتها الوكالات العالمية، ومفادها: أنه على الرغم من الملايين التي احتشدت في ميدان التحرير، على مدى ثمانية عشر يوماً، إلا أننا لم نشاهد حالة سرقة، أو تحرش، أو بلطجة بين المتظاهرين.

وهذا يوضح حجم التحول الإيجابي الهائل في المجتمع [2].

ويصف السفير محمد رفاعة الطهطاوي ــ المتحدث باسم شيخ الأزهر، روح الثورة ــ كما شاهدها في ميدان التحرير قائلاً: (هذه الثورة أثبتت أن الشعب المصري مازال نفيساً، ومازال باقياً، رغم العمل على دفنه طوال العقود الأخيرة، إذ لمست من الثوار قيم الإيثار والتراحم، والترفع عن الدنايا، والاحترام المتبادل، والشيء المهم الذي أدركته أن هذه الفضائل إذا أتيح لها المناخ المناسب، فإنها تزدهر وتصبح سمتاً ملازماً للشعب المصري، مما يؤهله ليكون أفضل شعوب العالم) [3].

---

(١) القصص الصحيح في السنة النبوية، ص ٨١.

(٢) مجلة البيان، إصدار الجمعية الشرعية الرئيسية، عدد ربيع الآخر ١٤٣٢هـ ــ مارس ٢٠١١م، ص ٣٠.

(٣) مجلة الرسالة، إصدار مركز الإعلام العربي، عدد رجب ١٤٣٢هـ ــ يونيو ٢٠١١م،ص ٤٤.

وعن الآثار الاجتماعية والأخلاقية التي تركها ميدان التحرير في نفوس المصريين، تقول الدكتورة/ عزة كريم، أستاذ علم الاجتماع بالمركز القومي للبحوث الجنائية: إن هذه الأخلاقيات الرفيعة للثورة، انتقلت إلى كل شوارع محافظات مصر، وما يبرهن على ذلك ما يراه الجميع في شوارعنا من قيام بعض الشباب والفتيات بحملات نظافة ودهان للشوارع، ومن أموالهم الخاصة، وتنظيمهم للمرور في حال عدم وجود رجال المرور، وأصبحت الإيجابية وصور التكافل والتراحم واضحة بين فئات الشعب (١).

ونأمل أن تبقى تلك الأخلاق حية في سلوكياتنا ومعاملاتنا، حيث إن ببقائها، تبقى الأمم، وبزوالها تزول الأمم.

ولله در أمير الشعراء، أحمد شوقي (ت ١٩٣٢م) عندما قال:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن تولت مضوا في إثرها قدماً (٢)

وأرى أن نلقي بالعبء هنا على الدعاة إلى الله ــ تعالى ــ خاصة، فعليهم دور كبير، في ترسيخ القيم الإسلامية في النفوس، وربط الناس بالإيمان، لأن القوة الإيمانية، تزرع الأخلاق الحسنة، والسلوكيات القويمة.

ولله درُّ الإمام الماوردي (ت ٤٥٠هـ) عندما قال: فإن ما تصلح به الدنيا حتى تكون أحوالها منتظمة، وأمورها ملتئمة، ستة أشياء، هي قواعدها، وإن تفرعت، وذكر منهم: الدين المتبع، لأنه يصرف النفوس عن شهواتها، ويعطف القلوب عن إرادتها، حتى يصير قاهراً للسرائر، زاجراً للضمائر، رقيباً على النفوس في خلواتها، نصوحاً لها في ملماتها، وهذه الأمور لا يوصل بغير الدين إليها، ولا يصلح الناس إلا عليها، فكان الدين أقوى قاعدة في صلاح الدنيا واستقامتها، وأجدى الأمور نفعاً في انتظامها وسلامتها) (٣).

---

(١) مجلة التبيان، العدد السابق، ص ٣٤.

(٢) أحمد شوقي، الشوقيات ١/ ٢٦٩، مطبعة مصر، سنة ١٩٥١م، بدون رقم طبعة.

(٣) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص ٨٣، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر، ط/٢، سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م.

على الدعاة إلى الله ــ تعالى ــ أن يكونوا قدوة للناس في أخلاقهم، لأن التربية بالقدوة من أقوى المؤثرات في قلوب الناس، ولقد أشار الله ــ تعالى ــ إلى حسن أخلاق نبيه ﷺ وأثرها في الدعوة فقال: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

يقول الغزالي (ت ٥٠٥هـ) متواضعاً: (أما الوعظ فلست أرى نفسي أهلاً له، لأن الوعظ زكاة نصابه الاتعاظ، فمن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة، وفاقد الثوب كيف يستر به غيره، ومتى يستقيم الظل والعود أعوج) (١).

ومما لاشك فيه أن انفصام شخصية الداعية بين القول والخلق، عامل كبير من عوامل صد الناس عن النفور منه، ومن دعوته.

يقول ابن القيم (ت ٧٥١هـ): (علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا، قالت أفعالهم، لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء، وفي الحقيقة قطاع طرق) (٢)، نعوذ بالله أن نكون من هؤلاء.

(١) تاج الدين علي بن علي بن عبد الكافي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى ٦/ ٢١٦، دار هجر، ط/٢، سنة ١٤١٣هـ تحقيق: محمود محمد الطناحي، د/ عبد الفتاح محمد الحلو.

(٢) أبو عبد الله شمس بن محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي، الفوائد، ص ٦١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٢، سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

المبحث الثالث

شهادة العالم على الثورة، وتوظيفها في خدمة الدعوة

المطلب الأول

توصيف الشهادات

تلك صفحة مضيئة بأفواه رواد في السياسة، وزعماء دول ورؤسائها، تجردوا عن أي هوى،وتخلوا عن أي عصبيةوبموضوعية تامةسطروا شهادتهم على الثورة المصرية، وسيسجلها التاريخ لهم عبر الزمان والمكان، لتكون خير شاهد على مثاليات الثورة وأخلاقياتها، لدى أممهم ودولهم، بل وللخلق جميعاً، لأن الحق ما شهدت به الأعداء، وقد شهد العالم أن مصر عادت إليها مكانتها المسلوبة، وقدرها الرفيع، الذي ضاع منها في زحمة لصوص سرقوا منها الغالي والنفيس، ولكن ما زادت الشدائد شعب مصر إلا صموداً، والمصائب إلا صبراً، وطول الأيام إلا إيمانا في أن يظهر المعدن النفيس للمصريين، ولما لمع اسمها العالم، فقام الجالس، وصفق القائم، وتحدث الصامت، وسكت الشامت، وانتبه الغافل، وشهد من لا تطلب منه الشهادة.

ومعنا على ذلك شاهد هو الدكتور/ محمد أبو ليلة، الأستاذ بجامعة الأزهر، والذي قضى أيام الثورة المباركة في الولايات المتحدة الأمريكية، وعقب عودته، حكي ما لمسه خلال تواجده في الولايات المتحدة من ردود أفعال واهتمام فقال: (سافرت قبل الثورة بأيام إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وعشت فترة المظاهرات وحتى تنحي الرئيس السابق وأياماً بعد ذلك في أمريكا، وما لفت انتباهي هناك أن التليفزيون الأمريكي على مدار الأربع والعشرين ساعة، كان يتحدث عن الثورة المصرية منذ بدايتها وحتى التنحي والتطورات التي شهدتها بعد ذلك، فكانت التغطية الإعلامية الأمريكية لهذا الحدث شاملة، وكانت قنوات التليفزيون تستضيف الكثير من المحللين والمتخصصين في الثورات والتحولات السياسية لتحليل ما يحدث، وأجمع كل هؤلاء الخبراء على أن هذه الثورة ليس لها سابقة في التاريخ، وأنها ثورة بيضاء وتلقائية ومعبرة عن الشعب كله، فالشعب احتشد بكل أطيافه، واندمجت كل

الأولى والثانية، ولم يعد إلا لون واحد هو ميدان التحرير.

أما عن ما أثاره ميدان التحرير في تلك الشعوب فيقول: أصبحت كلمة ميدان التحرير عالمية، فكل تليفزيونات العالم وعلى رأسها التليفزيون الأمريكي والتليفزيون الكندي، كانت تنقل من ميدان التحرير وتذكره بنفس النطق العربي للكلمة، وتعرض لتفاصيل الأحداث، وقد طالب المحللون الأمريكيون بدراسة الثورة المصرية، بل وتدريسها في الجامعات في الغرب، وعبر الرئيس الأمريكي أوباما ووزيرة خارجيته (هيلاري كلينتون) في تصريحات كثيرة لهما عن إعجابهما بتلك الثورة وقالا: إن مصر عادت إلى مجدها السابق لتقول للعالم: إنها صانعة الحضارات، وأنها لن تعود إلى الوراء مرة أخرى.

وذكر أبو ليلة إعجاب الشعب الأمريكي بالدولة العجيبة التي كانت في ميدان التحرير فيقول: كانوا يتحدثون عن الثورة المصرية، ويعبرون عن مدى انبهارهم بالشباب المصري، الذي نظم نفسه بطريقة رائعة، كأنه أنشأ دولة داخل ميدان التحرير، وكأن هذه الدولة لها حكومة غير مرئية، ورئيس غير مرئي، وتتحرك حركة منظمة [1].

وفيما يلي عرض لأهم ردود الأفعال العالمية، وشهاداتهم للثورة المصرية:

ـ الرئيس الأمريكي أوباما يقول: إنهم في الولايات المتحدة يجب أن يربوا أبناءهم ليكونوا مثل الشباب المصري.

ـ الرئيس النمساوي: المصريون هم أروع شعب على الأرض يستحقون جائزة نوبل للسلام.

ـ رئيس وزراء بريطانيا: علينا أن نفكر جدياً في تدريس الثورة المصرية في المدارس الإنجليزية.

ـ رئيس وزراء إيطاليا: لا جديد في مصر، فالمصريون يقومون بكتابة التاريخ كالعادة.

---

(١) مجلة التصوف الإسلامي، العدد: ٣٨٨، ربيع الآخر ١٤٣٢هـ ـ مارس ٢٠١١م، ص ١١، ١٢.

ـ رئيس وزراء النرويج: اليوم كلنا مصريون.

ـ شبكة سي، إن، إن الأمريكية:لأول مرة نجد شعباً يقوم بثورة وينظف الشوارع بعده [1].

ـ سفير كوبا بالقاهرة: أكد أوتو فرايز سفير كوبا بالقاهرة أن الشعب المصري أبهر العالم بثورته، وأظهر قدرته الفائقة على دفع ثمن حريته من دماء شهدائه، مشيراً إلى التشابه بين الثورتين المصرية والكوبية وعشق الشعبين للحرية[2].

ـ سفير اليونان في القاهرة: إن إرادة الشعب المصري كانت لها الكلمة العليا ونالت تقدير واحترام كل شعوب العالم [3].

ـ وزير الخارجية الألماني (فستر فيله) أتطلع إلى زيارة مصر والحديث مع الذين قاموا بالثورة.

ـ السفير الألماني بالقاهرة: الثورة المصرية تشبه ثورة وحدة ألمانيا منذ ٢٠ عاماً، فقد حافظت على كونها سلمية،خاصة بعد خطاب الرئيس مبارك الأخير الذي قال إنه سيبقي في المنصب.

ـ صحيفة ديلي تليجراف البريطانية: قوة الشعب تصنع التاريخ المصري.

ـ رئيس أركان الجيش الإسرائيلي المنتهية ولايته (غابي أشكنازي): الأحداث في مصر تثبت أنه يتوجب علينا التواضع والحذر في تقديراتنا للعالم العربي.

ـ صحيفة نيويورك تايمز قالت: إن عدداً كبيراً من الإسرائيليين أبدوا إعجابهم بالثورة المصرية،ونقلت الصحيفة عن بن كاسبيت،المعلق الإسرائيلي

---

(١) جريدة المصري اليوم، ١٩/ ٢/ ٢٠١١م، انظر: مجلة الأزهر، عدد ربيع الآخر ١٤٣٢هـ/ مارس ٢٠١١م،ص ٦٢٧.

(٢) الأخبار، عدد الخميس ٢٤ من مارس ٢٠١١م.

(٣) نفس المصدر والموضع.

البارز لصحيفة معاريف قوله: (الأمل والتفاؤل يتدفقان إلى مصر، شجاعة الجماهير جعلتنا نحب بالمصريين، الشعب المصري من أعظم الأبطال) (١).

ـ هيئة الأمم المتحدة: يقول بان كي مون الأمين العام للأمم المتحدة، حين زار مصر بعد الثورة: إن هيئة الأمم المتحدة تشعر بالفخر والإعجاب لما حققه المصريون في ثورتهم ورغبتهم القوية في إنشاء مجتمع ديمقراطي قوامه الحرية.. وقد شاهدنا أثر الثورة المصرية على ما يحدث من حركات ومطالب، تنادي بالحرية والديمقراطية في بلدان البحرين واليمن وسوريا وليبيا، وهذا ليس غريباً على مصر أن تسير على خطاها دول المنطقة، فهي قدوة ونموذج يحتذى به منذ فجر التاريخ، حيث قام الفراعنة ببناء أعظم حضارة في العالم، وسوف يتابع العالم اليوم بشغف، هرم الديمقراطية الرابع في مصر، والذي يبنيه حالياً أحفاد الفراعنة(٢).

ـ قالت نانسي بيلوسي، زعيم الديمقراطيين، بمجلس النواب الأمريكي: إن شعب مصر قادوها نحو الديمقراطية، وإن جهودهم تمثل إلهاماً للعالم (٣).

ـ مجلة تايم الأمريكية: اختارت مجلة تايم الأمريكية ثورة ٢٥ يناير، ضمن الثورات العشر، الأكثر تغيراً في العالم، خلال القرون الأربعة الماضية (٤).

ـ توماس فريد مان(الكاتب الصحفي الأمريكي الشهير): وصف الثورة المصرية بأنها فريدة من نوعها، وقال: (ما حدث في مصر شيء لم يسبق له مثيل، وقد انطلق من مبادئ حقيقية، تنم عن رغبة الشباب في التحكم في مستقبلهم، كما أن ما حدث انطوى على تضحية حقيقية، إذ أن بعض هؤلاء الشباب لقوا مصرعهم، من

---

(١) مجلة البيان، الجمعة الشرعية الرئيسية، عدد ربيع الآخر ١٤٣٢هـ ـ مارس ٢٠١١م، ص ٣٢.

(٢) الأخبار، ٢٢ مارس ٢٠١١م ـ ١٧ ربيع الآخر ١٤٣٢هـ، ص ١٠.

(٣) الأهرام، السبت ١٢/ ٢/ ٢٠١١م.

(٤) الأهرام، الأحد ٩ شعبان ١٤٣٢هـ ـ ١٠ يوليو ٢٠١١م، ص ٧.

أجل تلك المبادئ، ولم يسبق لنا أبداً رؤية شيء من هذا القبيل) (١).

وهكذا فرضت ثورة مصر على الدنيا كلها، أن تعترف بمصر، وشبابها، وشعبها، وأنها ـ بحق ـ موطن الحضارة، ومهد الإنسانية، وفجر الحياة المدنية المشرقة في العالم، والحق ما شهدت به الأعداء.

وإن ثورتنا المجيدة، تستحق وبجدارة، الاحترام العالمي، والتقدير الدولي، وذلك من أجل سلميتها، وطهارتها عن أي مقاصد دنيئة، وأهداف خسيسة.

ولهذا بعث المجلس المصري للشئون الخارجية، برسالة إلى اللجنة النرويجية لجائزة نوبل للسلام، يرشح فيها شعب مصر، وثورته العظيمة، للحصول على جائزة نوبل للسلام، لهذا العام، باعتبارها ثورة فريدة في مصر والعالم (٢).

وإني على الرغم من إعجابي الشديد، بتلك الشهادات الخارجية، والأوسمة العالمية لمصر وشعبها وثورتها.

وعلى الرغم من أنني أردد مع أستاذنا الدكتور/ طلعت عفيفي (٣) قوله:

كم بهر العالم ثورتنا ... وأشار إليها ببنان

وستبقى دوماً معلمة ... بزوال عروش الطغيان

وسراجاً دوماً يتوهج ... ويطال جميع البلدان

ويعود الحق لصاحبه ... رغماً عن أنف البطلان (٤)

أقول ـ مع كل ذلك فإنني أشد عجباً، وأكثر سعادة، بأن ثورتنا غيرت نظرة العالم ليس عن مصر فحسب، وإنما عن الإسلام.

---

(١) الأخبار، الثلاثاء ٨/ ٣/ ٢٠١١م.

(٢) الأخبار، الثلاثاء ١/ ٣/ ٢٠١١م.

(٣) عميد كلية الدعوة الإسلامية الأسبق.

(٤) مجلة البيان، إصدار الجمعية الشرعية الرئيسية، عدد ربيع الآخر سنة ١٤٣٢هـ ـ مارس ٢٠١١م، ص ١٢.

المطلب الثاني

دور الثورة المصرية في تغيير نظرة الغرب نحو الإسلام

وهذا ما ذكرته صحيفة (الواشنطن بوست) حين قالت: إن ثورة المصريين قد غيرت الصورة الذهنية لدى الكثير من الأمريكيين عند سماع كلمة (مسلم) أو (العالم الإسلامي) أو (الشباب المسلم).

وأضافت الصحيفة في مقال لأحد كتابها: (إن الكثير من الأمريكيين، كانوا عندما يسمعون لفظ مسلمين، يتذكرون طائرات تحلق فوق مركز التجارة العالمي، أو شاباً يقوم بالانتحار، وتفجير نفسه، إذن المشكلة لم تصبح في الصور التي نراها عبر التليفزيون، بل المشكلة الكبرى في الصور التي في أذهاننا حول المسلمين)[1].

وتابع الكاتب: الثورة المصرية التي استمرت ١٨ يوماً، هذه الثورة لم تطح فقط بالديكتاتور، بل قدمت فيلماً نفسياً جديداً، للعالم كله حول مساهمات المواطنين المسلمين، الذين تحدوا بكل شجاعة الغازات المسيلة للدموع، وهراوات الشرطة، وهم يهتفون (سلمية، سلمية) وهم يسيرون في ميدان التحرير، يحملون القرآن والإنجيل، جنباً إلى جنب، وهم يهتفون (مسلم ومسيحي، كلنا مصريون)، مشيراً، أنه أثار إعجاب الكثير من الناس.

وأكد الكاتب الأمريكي في مقاله أن من أسباب المعارضة الشرسة لبناء المساجد في المجتمعات الأمريكية الأوربية، هو اعتقاد الناس أن مهاجماً انتحارياً، سيأتي للصلاة في يوم الجمعة، سيتسبب في تفجير المحلات الخاصة بهم، لأنهم يعتقدون أن كلمة مسلم تعني (أسامة بن لادن).

وتابع: هذا لم يعد موجوداً الآن، لأن ١١ سبتمبر لم يعد التاريخ الذي يشير إلى المسلمين، فثورة ٢٥ يناير المصرية، أصبحت هي التاريخ الذي يحظى بهذا الشرف[1].

---

(١) المصدر السابق، نفس العدد، ص ٣٢، جريدة اليوم السابع، الاثنين ٢١ من فبراير ٢٠١١م، موقع مصراوي على الشبكة العنكبوتية بتاريخ ١٩ من فبراير ٢٠١٨م.

وأي شرف لمصر أن تغير انطباعات الأمريكان عن الإسلام، بعد أن اعتقدوا أن الإسلام مصدر الإرهاب والتطرف، وأتباعه ما هم إلا شرذمة من الانتحاريين وسفاكي الدماء.

ومعلوم أن تلك الصورة المشوهة للإسلام والمسلمين، أثرت سلباً في صورة رسولنا ﷺ عند القوم، وبسبب ذلك نشرت الصورة المسيئة إليه ﷺ في بلادهم.

وكم حال ذلك في دخول الكثيرين منهم في الإسلام، لما علموا عن المسلمين ما علموا، ولكن أملنا بدأ يتجدد، وتفاؤلنا بات يزداد يوماً بعد يوم، بعد أحداث الثورة، أن يسارع الناس دخولاً في دين الله أفواجاً، وأن تتغير نظرة ساسة تلك الدول، نحو الدول الإسلامية.

وقد اعترف آلان جوبيه، وزير الخارجية الفرنسي الجديد، (أن أوربا والغرب، سمحت طيلة السنوات الماضية للأنظمة العربية، بتسميم أفكارها حول الإسلام، وربطه بالإرهاب، بحجة أن هذه الأنظمة والحكومات كانت خط الدفاع الأخير).

ورأى جوبيه: (أهمية أن تغير فرنسا وأوربا من تصوراتها ومفاهيمها المغلوطة عن الإسلام، وأن تتبع فرنسا والدول الأوربية عامة، سياسة جديدة، بخصوص الإسلام، وتصحيح مواقفها تجاه الإسلام والمسلمين، فالإسلام ليس بعبعاً يخيف الغرب) [1].

هذه هي آثار الثورة المصرية، على العالم بأثره.

إنه كما بدا لنا، إشادة بالشعب الأبي، وثورته البيضاء النقية، وشعور منهم بأن أخلاقهم إليهم ردت،وتاريخهم عاد، وحضارتهم تستحق الإجلال والإكبار،لأن نجمها لن يصيبه، أفول أبداً.

وبدا لنا ــ كذلك ــ أن الثورة المصرية غيرت انطباعات الغرب نحو الإسلام، هذا الدين الذي كانوا ينظرون إليه نظرة ازدراء وامتهان واحتقار، لأنهم

(١) هدية الأهرام المصرية، عدد الثلاثاء ٨ من مارس ٢٠١١م.

كانوا يبصرونه من زاوية أفعال بعض المسلمين، الذين أساءوا إلى الإسلام، وإني لن أترك هذا المجال دون أن أختار كاتباً غربياً، رأيته شديد الحماسة والإعجاب بالثورة المصرية، ذلك هو الكاتب الإنجليزي (جيلاد أتسمون Gilad Atzmon).

اخترته بالذات لبعض خصائص ينفرد بها، فهو يهودي إسرائيلي الأصل، وكان جندياً في جيش شارون الذي غزا بيروت، وشاهد مجزرة صبرا وشاتيلا في ثمانينات القرن الماضي، فكفر بالصهيونية، واكتشف بشاعة الكيان الإسرائيلي، فانحاز إلى الحق الفلسطيني، وعاهد نفسه أن يكرس جهده لمناصرة هذا الحق.

كتب مقالاً بعنوان (القاهرة والقدس) فيه كلام عجيب لم نتعوده من كتاب يهود إسرائيليين من قبل، يقول: (لقد دأبت الحكومة الإسرائيلية والصهاينة عموماً وبعض اليساريين، على "شيطنة" الإسلام والمسلمين، ومع ذلك فإن الشعب المصري قد أثبت كيف أن الإسلام في حقيقته دين سماحة وسلام، وعلى عكس الثورات الغربية عندما التي خاضت في بحار من الدماء، فإن الملايين من المصريين صبروا على طاغيتهم ثمانية عشر يوماً، لكي يستوعب رسالتهم التي خرجوا لإبلاغها إياه، يوماً بعد يوم، اعتصموا في الشوارع والميادين يتظاهرون ويحتجون، بصبر وإصرار، وكانوا يؤدون صلاة جامعة خمس مرات في اليوم).

(لقد أكدوا لنا بمسلكهم الحضاري السلمي، وبقدرتهم على التنظيم، أن الإسلام دين سلام، وأنه بطبيعته ضد العنف، وكانت الجماهير المصرية أعظم سفراء للإسلام والسلام، ففي أقل من أسبوعين لم يسقطوا النظام المستبد فقط، وإنما أسقطوا معه الرُهاب المفزع "الإسلاموفوبيا" الذي روج له الصهاينة في الغرب... وضربوا لنا المثل الأعلى في إصرارهم السلمي الأخاذ على انتزاع الديمقراطية، وإرادة الحرية).

لقد منحونا الفرصة بمسلكهم الإنساني أن نرى الإسلام على حقيقته يتحرك على الأرض، فلا غرابة أن نرى كثيراً من الأمريكيين والأوربيين قد برئوا من مرض "الإسلاموفوبيا" الذي رسخته الصهيونية عقوداً في رؤوسهم.... انقشع الخوف من الإسلام والمسلمين، ورحب الكثيرون منا بالمصريين، واختيارهم

الطبيعي الصادق: الإسلام والسلام.

لقد أصبح لزاماً على القادة الغربيين، في غضون الشهور القليلة القادمة، أن يتكيفوا مع الواقع الجديد، عليهم أن يسرعوا بالاعتراف صراحة بقوة الإسلام وجماله، عليهم أن يسترضوا بليون مسلم أو أكثر، من دون طول انتظار، وفي الأيام القادمة فإن على إسرائيل أن تواجه واقعها المشئوم،فهي على وشك أن يدير العالم لها ظهره، إن الكيان الصهيوني "بمخزونه النووي" بلا شك، كيان خطر، ونحن نبتهل إلى الله، ألا تحيل إسرائيل، وهي في طريقها إلى الهاوية، كوكبنا الأرضي إلى أنقاض [1].

هذه هي رؤية "جيلاد أتسمون" للثورة المصرية، وآثارها المحمودة على الغرب، حيث رحب الكثيرون منهم بالإسلام، وأدركوا ــ عن قناعة ــ أنه دين سلام، لا عنف فيه، ودين محبة لا بغضاء فيه، دين تعمير لا تخريب فيه.

المطلب الثالث

عوامل نجاح الدعوة في البلاد الغربية (لاستكمال آثار الثورة عالمياً)

لاستكمال آثار الثورة عالمياً، يتبقى دور الدعاة إلى الله ــ تعالى ــ في تلك البلاد، وهو أن يحسنوا في إيصال الإسلام إليهم، كدين عالمي، لا يقبل الله من الخلق سواه، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ سورة آل عمران، الآية: ١٩.

وكدين فيه الحلول لجميع مشاكل الشعوب، الاجتماعية، والاقتصادية، والنفسية، إن الغرب في أمس الحاجة إلى سماع صوت الإسلام، والتعرف عليه، وإزالة الحجاب الغليظ الذي يفصله عنه، لكي يلمس كنوزه، ويثمن جواهره، ودرره، ويقدره حق قدره، ونحن المسلمين مسئولون أمام الخالق ــ سبحانه ــ في أمر إيصال تعاليم دينه لهذا الغرب، وتبليغه معنى وحي البارئ جل وعز.

---

(١) مجلة الرسالة، إصدار مركز الإعلام العربي، عدد: ٢٩، رجب ١٤٣٢هـ ــ يونيو ٢٠١١م، ص٨.

... والتصاده وجنده وتقنيته المتفوقة. هو في الوقت نفسه ... في جوانبه الإنسانية، وفي براءته البشرية، وفي أحاسيسه ... وضميره، فهو عاطل عن القيم والمثل التي ترقي من شأن الإنسانية كلها. اكتفى بالجوانب المادية في تقدمها السريع، فملك هذه المادة التي سخرها الله له، واستغلها في تحسين معيشته الدنيا بيد أن هذه المادة لم تجلب له الطمأنينة والراحة والسلامة والأمن، ولم ترفعه للمقام العالي لكونه كافراً بالإسلام، غير مؤمن بوحدانية الرب ـ سبحانه ـ ولا بكتابه، ولا نبيه ﷺ، فقاد هذا الغرب، وضل ضلالاً بعيداً، وانحرف، وزهق، وتعثر، وانتشرت فيه الأمراض النفسية والجسدية، ولخرت عظامه الآفات الاجتماعية، ولم تفده الآلة إلا في إنتاج البطن، والانكباب على الشهوات البهيمية، والنزوات الحيوانية.

فالغرب إذاً يحتاج إلى الإسلام حاجة المريض إلى الدواء، والجائع إلى الغذاء، والعريان إلى الكساء، والخائف إلى الأمان، وليس ذلك موجوداً إلا عندنا نحن أمة محمد ﷺ، فالدعوة إلى الإسلام في الغرب الآن واجبة علينا.

وواجب كذلك تجديد تلك الدعوة إليهم، والمقصود بذلك: تجديد أساليبها، وتحديث مفرداتها، والإبداع في وسائلها، واختراع آليات جديدة في تفعيلها، ودحض ترهات أعدائها، والتغيير في أشكالها، إذ لبها لا يتغير؛ لأنها دعوة إلى (لا إله إلا الله، محمد رسول الله ﷺ).

بيد أن ما يحتف بهذا اللب من صيغ ولغات، ونبرات وفقرات، وأدوات، واختيار الأزمنة والأمكنة، والمناسبات، وما يقدم وما يؤخر، وما يؤكد وما يرخص فيه، وما يصرح به وما يسكت عنه من الجزئيات والفروع، كل ذلك هو الداخل في قولنا (تجديد الدعوة) تأصيلاً وتفريعاً.

إن الدعوة في ديار الغرب تحتاج إلى تخطيط وهو عين الحكمة، وتحتاج إلى الهدوء والسكينة وهو من الحكمة، وتحتاج إلى التبصر وقراءة للعواقب وهما من الحكمة، وتحتاج إلى اللطف والرفق والشفقة، وهي من الحكمة، وتتطلب الدراسة العميقة والاطلاع على أحوال القوم عن كثب، ومعرفة وفقههم والمهارة في

لعبادهم، وذلك كله من الحكمة، قال ﷻ: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

الحكمة كلمة أحسبها أوسع من مصطلح (المصلحة)، وأسمى من مصطلح (معقول المعنى). كلمة جامعة مانعة، وتعطي للقلب إحساساً بأنها مفردة جليلة تعني: الخير والسداد، والإصابة والفلاح، والربح والهدف، والأمر المنشود، والغاية المتوخاة، فكانت كلمة مباركة [1].

فليت الدعاة إلى الله ــ تعالى ــ يراعون الحكمة في دعوة الآخر إلى الإسلام، وليت الحكومات تعطي أهمية لسفراء الإسلام في دول الغرب، فالله سائلنا عن وصول الإسلام إليهم، غضاً طرياً، وإزالة ما علاه من سحب دلكنة دنسته لاتخاذ موقف سلبي حياله.

وإن كثيراً من المسلمين في أوربا، أصبحوا متهمين في نظر العدالة الأوربية إلى أن تثبت براءتهم، لا لشيء، إلا لأن لأسماءهم إسلامية مثل: محمد، وأحمد، وعلي، وحسن، وحسين، إلى غير ذلك من الأسماء الإسلامية، وأصبح هناك متابعة للمدارس الإسلامية، في بريطانيا وغيرها من بلدان أوربا، لا لشيء، إلا لأنها تدرس الدين الإسلامي، الذي سبق أن أخذت تصريحاً من الجهات الرسمية بتدريسه.

وأصبح هناك متطرفون في بريطانيا وألمانيا، يطالبون المسلمين، بمغادرة بلادهم، وإلا فهم عرضة للقتل والاغتيال، وذلك مثل ما يفعله: الحزب الوطني البريطاني، الذي ينشر تهديداته على شبكة الانترنت، صباح مساء، وأصبحت الجالية المسلمة في بريطانيا مهددة في حياتها [2].

---

(١) انظر: الأستاذ علي بن أحمد بن الأمين الريسوني، فقه الدعوة الإسلامية في الغرب ووجوب تجديدها، مقال على موقع السكينة، الشبكة العنكبوتية، تاريخ ١٢/ ٦/ ٢٠١١م.

(٢) أثناء كتابتي لتلك الأسطر، قرأت على صفحات الجرائد، وسمعت في وسائل الإعلام المختلفة أن السلطات البريطانية ألقت القبض ــ دون أسباب ــ على القيادي الفلسطيني البارز الشيخ/راغد صلاح، الذي برز عبر نضاله الذي لصاق شعبه الفلسطيني ومدينة القدس، على الرغم من أن الشيخ اشتهر بنضاله المدني السلمي من أجل فلسطين.

والحملة الإعلامية الظالمة ضد المسلمين، التي تقودها وتوجهها الصهيونية العالمية، بما تملك من وسائل الإعلام، هي التي تؤجج الكراهية، وتزيد التطرف والإرهاب الأوربي ضد المسلمين، وزاد الطين بلّةً ما أطلقه الرئيس" بوش" على المتشددين الإسلاميين، مؤخراً بقوله (الفاشست [1] للمسلمين).

ولأول مرة يشترك رئيس أكبر دولة في العالم في زيادة الكراهية بين المجتمعات الغربية والمسلمين في الغرب وفي العالم بصفة عامة.

هذا على الرغم من أن الأقليات في مجتمعنا، في وضع أفضل من الأقليات المسلمة في الغرب، التي هي في خطر، وفي أزمة فعلية [2].

كيف لا، ومع انطلاقة الاستعدادات بين أبناء مسلمي بلجيكا لاستقبال شهر

---

(١) اصطلاح الفاشية (Fascism) مشتق من الكلمة الإيطالية Fascia وهي تعني: حزمة من الصولجانات كانت تحمل أمام الحكام في روما القديمة دليلاً على سلطانهم، وفي تسعينيات القرن التاسع عشر بدأت كلمة فاشيا تستخدم في إيطاليا لتشير إلى جماعة أو رابطة سياسية عادة ما تتكون من اشتراكيين ثوريين، واصطلاحي الفاشية والفاشي استخدما ــ حالياً ــ كاصطلاحات تقذف إلى الإساءة السياسية للخصوم السياسيين، والاهتمام لهم بالديكتاتورية ومعاداة الديمقراطية، انظر: ويكيبديا الموسوعة الحرة، مادة: فاشية، تاريخ الزيارة ٩/ ٨/ ٢٠١١م.

يقول د/ محيي الدين عبد الحليم: أن يتهم الرئيس بوش بعض الشخصيات أو أنظمة الحكم في العالم الإسلامي بالفاشية فهذا جائز، لأن ثمة حكاماً أقاموا أنظمة ديكتاتورية وقمعية قهروا إرادة شعوبهم، وهيمنوا على كافة المؤسسات التشريعية والثقافية والتنفيذية ـــ ـــ والإعلامية، أما أن يوجه الرئيس الأمريكي اتهاماً مباشراً إلى الإسلام نفسه بأنه دين فاشستي، فهذا يدل على جهل بحقائق هذا الدين، أو عدم فهم لمرجعياته وأهدافه ومعطياته، وإن الدعاة، وصناع القرار، ومنابر الفكر، وأجهزة الإعلام في العالم الإسلامي تتحمل مسئولية تصحيح هذه التصور المغلوطة والأفكار الخاطئة، انظر على شبكة الانترنت:

WWW. Al-Sham. Net/9/8/2011.

(٢) انظر: د/ مصطفى محمد رمضان، د/ إلهام محمد علي، الأقليات المسلمة في أوربا، ١/ ١٥، ١٦ ــ ١٧ باختصار، مطبوعات الأزهر الشريف، مجمع البحوث الإسلامية، السنة الثانية والأربعون، الكتاب الثالث، سنة ١٤٣٢هـ ــ ٢٠١١م.

رمضان المبارك، دخل قانون حظر (النقاب) حيز التنفيذ في بلجيكا، لتصبح بذلك ثاني دولة أوربية تقدم على هذه الخطوة بعد فرنسا، يقضي القانون الجديد بمنع ارتداء (النقاب) في الأماكن العامة، وسيتعين على المرأة التي ترتدي النقاب دفع غرامة مالية، وفي حال تكرار المخالفة ستعاقب بالسجن لمدة سبعة أيام [١].

والأدهى من ذلك والأمر: أن يمنع قاض في ولاية جورجيا الأمريكية، مسلماً يلبس (طاقية) الصلاة من الدخول إلى قاعة المحكمة قبل أن يخلعها، وانتقد محاميه قرار القاضي، وقال له: إن الطاقية هي مجرد (رمز تواضع)، وتكاد تشبه القبعة التي يلبسها اليهود، إلا أن القاضي أصر على رأيه وحكمه [٢].

ألستم معي أن العبء ثقيل على أمة الدعوة تجاه أولئك المتعصبين؟! ولله در الإمام محمد الغزالي (ت ١٤١٦هـ) عندما قال: (إن خلع أمة من باطلها ليس كخلع امرئ لقميصه أو نعله، الأمر يحتاج إلى معاناة طويلة، يتم خلالها هز التقاليد، وردم التهم، وهذا جهاد الدعوة) [٣].

إننا نستطيع أن نقدم الكثير للأقليات المسلمة في عالمنا المعاصر، متى أحسسنا أولاً بمحنتها، وعقدنا العزم على العمل من أجلها ثانياً، مع توافر الصدق في الإحساس والعزم.

وقد يسأل سائل: كيف يمكن أن يتم ذلك؟

وأقول في إيجاز: يمكن إلقاء المهمة على عاتق الدعوة الإسلامية، متى توافرت لها إستراتيجية ناجحة، تعمل وفق مخططاتها في الدولة غير المسلمة، والتي تستوعب عدداً – قل أو كثر – من المسلمين، وليس من قبيل المصادرة على المطلوب أن نعترف بأن للدعوة الإسلامية في الدول غير الإسلامية وجوداً، إلا أنه وجود بغير إستراتيجية وهذه المسألة تقتضينا أن نتعرض لجوانب ثلاثة:

---

(١) جريدة اللواء الإسلامي، الخميس ٢٧ شعبان ١٤٣٢هـ – ٢٨ يوليو ٢٠١١م، ص ٢.

(٢) جريدة الأهرام، الاثنين ٦ جمادى الآخرة ١٤٣٢هـ – ٩ مايو ٢٠١١م، ص ٨.

(٣) الإمام محمد الغزالي، جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج، ص ٣٢، مرجع سابق.

الأول: عوامل النجاح لهذه الإستراتيجية، وهي تتركز في ثلاثة مطالب:

أ ــ التخطيط القائم على الدراسة المتأنية والموضوعية معاً، وقد أشرنا إلى ذلك آنفاً.

ب ــ توافر الإمكانات: المادية والأدبية والعلمية والسياسية.

ج ــ التأهيل الشامل للقائمين على الدعوة الإسلامية.

الثاني: معوقات النجاح، وهي تتركز في معوقات ثلاثة:

أ ــ الارتجال الذي يتجاهل التخطيط الشامل.

ب ــ ضعف الإمكانات وعدم ترشيدها.

ج ــ التقلبات السياسية: المحلية والدولية.

الثالث: هناك مشكلات تنبع من داخلنا، وأخرى تأتينا من خارجنا، كيف نواجه مثل هذه المشكلات لتضمن مسيرة الدعوة بلا معوقات.

وكلمات أخيرة:

لكي نكون صرحاء مع أنفسنا، نعترف بأن المهمة شاقة، ولكن نجاحها ليس مستحيلاً، إذا تحولت محنة الأقليات المسلمة في أذهان الأمة الإسلامية قادة وشعوباً إلى قضية ــ لا مشكلة ــ مجرد مشكلة عابرة أو هامشية في حياة هذه الأمة، ثم إذا أصبح لهذه المحنة منظمة دولية مستقلة، إرادة وعملاً وسلوكاً، لها شخصيتها الاعتبارية أو القانونية، وليست مجرد تابعة لدولة من الدول الإسلامية، مهما كان شأنها، وما ذلك على الله ببعيد [1].

ونحن أمة الدعوة لابد أن يكون قيام تلك المنظمة من أولويات شئوننا، فالله ــ تعالى ــ سائلنا عن الأعداد الغفيرة التي تموت ــ كل يوم ــ بكفرها، وسائلنا ــ كذلك ــ عن قلة عدد المسلمين في العالم الذين هم فوق المليار مسلم بقليل، وبين أعداد التيارات والنحل والديانات الأخرى، فالفرق شاسع، والبون كبير، والحساب يوم القيامة عن التقصير عسير.

وكم أتمنى مشاركة أصحاب الوجاهة والمناصب الرفيعة في البلاد الأوربية في الدفاع عن الإسلام، ويكونوا حرس حدود له، وذلك على غرار ما فعلت (سعيدة وارسي) الوزيرة المسلمة في حكومة بريطانيا الحالية، حيث حذرت من خطورة استمرار التعصب ضد الإسلام والمسلمين في بريطانيا، وقالت: (إن الإسلام وفوبيا الخوف من الإسلام أصبح بكل أسف أمراً سائداً في الحياة البريطانية، وأن ظاهرة العداء للإسلام أصبحت متأصلة داخل المجتمع.

جاء حديث (وارسي) في محاضرة ألقتها في جامعة ليستر، حيث هاجمت ما رأته تزايداً في حالة اللاتسامح الديني، خاصة فيما يتعلق بالمسلمين، الذين قدرت دراسة عددهم في بريطانيا بحوالي ٢ر١ مليون نسمة.

وقالت: إن تقسيم المسلمين إلى صفين: معتدل ومتطرف، يقدم وقوداً لعدم

---

(١) محمد عبد الله السمان، محنة الأقليات المسلمة في العالم، ص ٢١ ــ ٢٢، دار الاعتصام، ط/٢، بدون تاريخ.

التسامح الناجم من سوء الفهم، وأن هناك قلقاً كبيراً في حالة تعيين مسلم في مصنع، حتى يقول صاحبه للعمال فيه: لا تقلقوا، إنه مسلم جيد.

كما طالبت (وارس) بعدم اعتبار بعض الأفعال الإرهابية التي قامت بها حفنة من المتطرفين سبباً لشجب كل أتباع الدين)[1].

وأخيراً ورقة عمل للدعاة بعد الثـــورة:

إن الحديث عن تجديد الخطاب الديني، لا يعني بتر التراث، والانقطاع عنه، فمن لا ماضي له،لا حاضر له، وإنما نعني: مناسبة الخطاب الديني لعقول المسلمين، في القرن الحادي والعشرين، وملامسته لمشاكلهم وأحوالهم، والتعمق في إيجاد حلول لها من الكتاب والسنة.

والناس في هذه الأيام أحوج ما تكون إلى أن ينشط الخطاب الديني الذي يقوم برسالة جليلة، تنير لجماهير الناس طريقهم، وتضئ لهم خارطة الطريق، حتى يستبين الضلال من الهدي، والغي من الرشد.

ولا يصح عقلاً أن تغير الثورة وجه مصر التاريخي والحضاري، ولا يتغير خطباؤها ودعاتها، إلى الأفضل والأحسن، بتناولهم أطروحات تخدم الدين، والدولة في مرحلتها الزاهرة، فإذا كان للناس بعد الثورة يبتغون المجتمع الأمثل، والمدنية الفاضلة، والوفرة في مستلزمات الحياة، والمعيشة الهنيئة الطيبة، والأمن على النفس والمال والعرض، فإن هذا لا يتم على أرض الواقع، ما لم يفقه الناس، أن هناك ديناً إلهياً، حوى أمور الدنيا والآخرة، وجمع بينهما في أكمل انسجام، ويعمل على سعادة الفرد والجماعة، هو الدين الإسلامي، فيجب العودة إليه، والاستمساك بزمامه، والاسترشاد بأنواره، وأقترح أن تكون بعض الموضوعات بعد الثورة في الأحاديث التالية:

- الموقف الشرعي من الثورة في مصر.
- الموقف الشرعي من الإضرابات والاعتصامات الفئوية.

---

(١) مجلة الأزهر الشريف، عدد جمادى الآخرة، سنة ١٤٣٢هـ - مارس سنة ٢٠١١م، ص ٦٣٩.

ـ الموقف الشرعي من الإضرار بمصالح الوطن، والمنافع العامة.
ـ الاتجار بالدين في الانتخابات.
ـ الدولة المدنية والدولة الدينية.
ـ موقف الإسلام من التعديلات الدستورية.
ـ الحذر من الشائعات التي تقوض أمن المجتمع.
ـ إعلاء قيمة العمل لتدور عجلة الإنتاج.
ـ يوم القيامة المصغر في الدنيا ومحاكمات المفسدين.
ـ اتق يوم أن تكون الثروة نقمة.
ـ الحكم الشرعي في بناء كنائس للنصارى، هدمت بأيدي مسلمين.
ـ السياسة والدين.
ـ حاكمية الله ﷻ.
ـ إعلاء قيمة الحوار في المجتمع.
ـ مواصفات الحاكم في الإسلام.
ـ شروط الإسلام في تقليد الوظائف العامة.
ـ الإدلاء بالصوت أيام الانتخابات سواء البرلمانية أم الرئاسية.

إن الدعاة إلى الله ـ تعالى ـ في المرحلة الراهنة، وفي هذا المنعطف التاريخي الخطير لمصر، لعليهم مسئولية كبرى، ملقاة على عاتقهم في النهوض بالمجتمع، وأرى أنه يجب التركيز في النقاط التالية:

١ ـ تحريك الإيمان في نفوس الشعوب، والجماهير المسلمة، وإثارة الشعور الديني فيها، فإن تمسك هذه الشعوب والجماهير بالإسلام، وتحصنها به، هو السور القوي العالي، الذي يعتمد عليه في بقاء هذه البلاد.

٢ ـ صيانة الحقائق الدينية والمفاهيم الإسلامية من التحريف، وإخضاعها للتصورات العصرية الغربية، أو المصطلحات السياسية والاقتصادية، والتجنب عن تفسير الإسلام تفسيراً سياسياً بحتاً، والمغالاة في (تنظير الإسلام)، ووضعه على مستوى الفلسفات العصرية والنظم الإنسانية، لأن هذه الحقائق الدينية، هي أساس

الإسلام الدائم، وإليها كانت دعوة الأنبياء، ولها نزلت الصحف السماوية.

٣ ــ تقوية الصلة الروحية والعاطفية بالنبي ﷺ، والحب العميق له، الذي يؤثره على النفس، والأهل، والولد، والحذر من كل العوامل والمؤثرات التي تسبب تجفيف منابع هذا الحب، وإضعافه على الأقل، وتحدث جفافاً في الشعور، وضعفاً في العمل بالسنة، ولعل البلاد العربية (بفعل أحداث، ودعوات قومية) أحوج إلى العناية بهذه النقطة وأحق بها من غيرها،ففيها كانت البعثة المحمدية،وفي لغتها نزل القرآن، ونطق الرسول ﷺ.

٤ ــ إعادة الثقة في نفوس الطبقة المثقفة، ومن يبدهم القيادة الفكرية، والتربوية، والإعلامية، في البلاد والحكومات الإسلامية، بصلاحية الإسلام وقدرته، لا على مسايرة العصر وتطوراته، وتحقيق مطالبه، بل على قيادة الركب البشري إلى الغاية المثلى، وتجديف سفينة الحياة إلى بر السلام والسعادة، وإنقاذ المجتمع البشري من الانهيار والانتحار، الذي تعرض لهما تحت القيادة الغربية الخرقاء، وأنه ليس (بطارية) قد نفدت شحنتها، أو دبالة قد نفد زيتها، واحترقت فتيلتها، بل هو الرسالة العالمية الخالدة، وسفينة النجاة التي هي كسفينة نوح ﷺ لا ينجو إلا من ركبها.

٥ ــ قلب نظام التربية والتعليم المستورد من الغرب، المنتشر السائد في العالم الإسلامي، رأساً على عقب، وصوغه صوغاً إسلامياً جديداً، يتفق مع الشعوب المسلمة، وعقيدتها، ورسالتها، وقامتها،وقيمتها، وذلك حتى تدار الحكومات، والأجهزة الإدارية، والمرافق العامة، برجال مؤمنين، أقوياء، أمناء، مخلصين، يطبقون التعاليم الإسلامية في الحكومة والإدارة، والتربية والإعلام، فتمثل الحياة الإسلامية بجمالها وكمالها، وينشأ المجتمع الإسلامي بسماته وخصائصه.

٦ ــ حركة علمية قوية دولية، تعرف الطبقة المثقفة الجديدة، بذخائر الإسلام العلمية، وتراثه المجيد، وتنفخ في العلوم الإسلامية روحاً من جديد، وتثبت للعالم المتمدن، أن الفقه الإسلامي وقانونه من أرقى القوانين وأوسعها في العالم، وهو يقوم على أساس من المبادئ الخالدة التي لن تبلى، ولن تفقد صلاحيتها في يوم

من الأيام،وهي تصلح لمسايرة الحياة الإنسانية في كل زمان ومكان، وتنفيها عن كل قانون وضعته أيدي الناس [1].

٧ ــ حث الحكومات الإسلامية على التخطيط المدني الإسلامي المستقل، البعيد عن تقليد الغرب الأعمى، ولابد من تمثيل الحضارة الإسلامية في عواصمها، وفي دوائرها وفي مجتمعاتها، وفي فنادقها ومنتزهاتها، وإلى حد في مكاتبها وطائراتها وسفاراتها، وبذلك لا يعرض العالم الإسلامي نموذجاً للحياة الإسلامية فحسب، بل يقوم بدعوة صامتة للإسلام.

٨ ــ حث الحكومات الإسلامية على معاملة الحضارة الغربية ــ بعلومها ونظرياتها واكتشافاتها وطاقاتها ــ كمواد خام، يصوغ منها قادة الفكر وولاة الأمور في العالم الإسلامي، حضارة قوية، عصرية، مؤسسة على الإيمان والأخلاق والتقوى، والرحمة، يأخذون من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمتهم، وبلادهم، ويستغنون عن غيره.

٩ ــ إقناع الحكومات المسلمة ــ المسالة للإسلام ــ بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية، وتهيئة الجو المناسب، المساعد على ذلك.

ما يستتبع هذا الأمر من سعادة وبركة ونصر من الله، وسعي لتكوين قيادة موحدة، تقوم على مبدأ الشورى الإسلامي، والتعاون على البر والتقوى، والشعور

---

(١) وعندما كان الشيخ/ محمد مصطفى المراغي، رئيساً للمحكمة العليا الشرعية، قام بتشكيل لجنة لتنظيم الأحوال الشخصية برئاسته، ووجه اللجنة إلى عدم التقيد بمذهب الإمام أبي حنيفة، إذا وجدت في غيره ما يناسب المصلحة العامة للمجتمع، ومن بين ما قاله لأعضاء اللجنة: (ضعوا من المواد ما يبدو لكم أنه يوافق الزمان والمكان، وأنا لا يعوزني بعد ذلك أن آتيكم بنص من المذاهب الإسلامية، يطابق ما وضعتم، فالشريعة الإسلامية فيها من السماحة والتوسعة ما يجعلنا نجد في تفريعاتها وأحكامها في القضايا المدنية والجنائية كل ما يفيدنا وينفعنا في كل وقت، وما يوافق رغائبنا وحاجاتنا وتقدمنا في كل حين، فالمسائل الفقهية مادامت غير قطعية فهي قابلة ــ بحكم الشرع ــ للتجديد والتغيير) انظر: د/ محمود زقزوق، تجديد الفكر الديني، ص ٤٠، إصدارات وزارة الأوقاف المصرية، ١٤٣٠هـ ــ ٢٠٠٩م.

بالتقصير على الأقل بعدم وجود الإمامة العامة، أو الخلافة الإسلامية التي كلف بها المسلمون وسيحاسبون عليها (١).

١٠ــ محاربة المذاهب الضالة، والتيارات المنحرفة، والأفكار المسمومة، وغلق الأبواب أمامها، وصد الناس عنها، وسد الثغرات والشبهات التي قد يدخل منها أهل الباطل، للتلبيس على الناس في عقيدتهم وشريعتهم، وبذلك تظهر الشريعة الغراء، في أبهى صورها وكمال رونقها، ولُتم بهائها، قبساً من الله ــ تعالى ــ ونوراً للسالكين، وهداية للمسترشدين، لبناً خالصاً سائغاً للشاربين.

١١ــ الالتحام بالمجتمع عن قرب، ومشاركة المدعوين على أرض الواقع في آلامهم وآمالهم، ذلك للتأثير فيهم، لأن انعزال الدعاة في أبراج عالية، عن المشاركة المجتمعية، وعدم الانخراط في مؤسسات الدولة السياسية وأحزابها، وبرلماناتها، والندوات، والمؤتمرات، وجلسات الحوار، ما هو إلا سلبية يبغضها الإسلام من الدعاة إليه، فهذا هو الرسول ﷺ سيد الدعاة، شارك قومه في حلف الفضول، وحرب الفجار، وبناء الكعبة، ووضع الحجر الأسود بيديه الشريفتين، في موضعه، وفي موضع الندي كان أول الناس، وفي موضع الشجاعة سابقهم، وإذا حمي وطيس المعركة، اتقى الصحابة برسولهم ﷺ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه.

وكم عرض دعوته على القبائل وعلى وجوه الناس فيها؟! وما هجرته ﷺ وأصحابه إلى المدينة إلا ببركة مقابلته لوفد من الأوس والخزرج، وعرضه دعوته عليهم، وإيمانهم به.

وصلي الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،والحمد لله رب العالمين.

وكتبه الفقير إلى عفو مولاه

عبد الحافظ أحمد طه

---

(١) أبو الحسن علي الحسني الندوي، القرن الخامس عشر الهجري الجديد في ضوء التاريخ والواقع، ص ١١١ ــ ١١٩ باختصار وتصرف يسير، هدية مجلة الأزهر الشريف لشهر ربيع الأول ١٤٣٠هـ.

الخاتمـــة

وتتضمن أهم النتائج وتوصيات البحث

بعد هذا التطواف الموجز مع الثورة المصرية المباركة والسير مع أحداثها، يحسن بنا أن نقف على أهم ما توصلنا إليه من النتائج والتوصيات.

أولاً: النتائـــــج:

١ ــ زلزال وقع بمصر في الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١م، كان هو ثورة الشعب التي فجرها الشباب.

٢ ــ لعبت شبكات التواصل الاجتماعي مثل (فيس بوك) وغيره، دوراً بالغ الأهمية في الثورة،وأوجدت وسيلة سهلة وميسرة لتبادل الأفكار، وتعبئة الشباب، فثورتنا ثورة علمية متحضرة، استخدم فيها العلم والتكنولوجيا.

٣ ــ الذي دعا إلى المظاهرات ــ في الأصل ــ هم فئة من شباب الطبقة الوسطى الجديدة، حيث التعليم أكثر تميزاً، ولديهم مهارات توظيف الانترنت، وما عانى ذلك الشباب من عضة الجوع، ولا مذلة الحرمان، ولا من إحباط البطالة.

٤ ــ الشباب المثقف يرعى حقوقه، ويفهمها على وجهها الأتم، ويطالب بها برقي وتحضر.

٥ ــ شارك في الثورة المصرية، جميع فئات الشعب، على اختلاف فئاتهم، وتوجهاتهم، وأيديولوجياتهم، الدينية والفكرية والثقافية والسياسية والمهنية، حتى حققوا انتصار الثورة.

٦ ــ لم يكن نزول المصريين إلى ميدان التحرير، وكافة الميادين، رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً، مسلمين وأقباطاً، فقراء وأغنياء، مجرد تمرد على نظام الحكم، وإنما من أجل بناء صرح الحرية، وسيادة العدالة الاجتماعية، وتلك قيم دعا إليها الدين الإسلامي، بل جميع الأديان الإلهية.

٧ ــ جنح المتظاهرون إلى السلم، حتى كانت كلمة (سلمية) أحد شعاراتهم، وما عمدوا إلى الفوضى، وإزهاق الأرواح، وإحراق المنشآت.

٨ــ تمسك المعتصمون بميدان التحرير طوال ١٨ يوماً، باسمى وأعلى الأخلاقيات التي عرفتها البشرية، وقرر البحث أنها مقتبسة من الكتاب والسنة، ويمكن للدعاة، التركيز عليها في مجال الدعوة إلى الله ــ تعالى ــ لأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها كان أحق الناس بها.

٩ ــ جسدت الثورة أسمى معاني التسامح بين المسلم والمسيحي، حيث وقف كلاهما إلى جوار الآخر،دون أن يتربص أحدهم بالآخر، بل كان إذا صلى المسلمون قام بحراستهم المسيحيون، والعكس كذلك، وذلك تطبيق لدعوة النبي ﷺ إلى حسن معاملة أهل الكتاب، وأقباط مصر خاصة.

١٠ــ منذ بدء الثورة حتى نهايتها ــ لم تسجل بميدان التحرير، على رغم الملايين التي كانت محتشدة فيه، على حالة تحرش واحدة، أو سرقة، وهذا ما أكدت عليه جميع وكالات الأنباء المحلية والعالمية.

١١ــ أثبت الشعب المصري،أنه عندما ثار، ثار بتحضر ورقي، بل أعطى دروساً للحضارة.

١٢ــ بعثت الثورة المصرية لكل شعوب الدنيا، رسالة مفادها: أن مصر لا تزال ولادة، وهي قادرة على إبهار العالم.

١٣ــ ثورتنا قيمة مضافة جديدة نعتز بها، ونتباهى بها، خاصة في ظل الانبهار عالمي.

١٤ــ ما كان الدعاة في مصر،بعيدين عن الثورة،وإنما كانوا في القلب منها،ومن حضر منهم في ميدان التحرير،له دور كبير في رفع همم المتظاهرين،ومعنوياتهم بشرعية ما يقومون به.

١٥ــ قام عدد من الدعاة بإلقاء كلمات بميدان التحرير، أمام جموع المتظاهرين، وأبانوا لهم أن خروجهم لا يعد خروجاً على الحاكم، وإنما هو من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن باب الإنكار باللسان.

١٦ــ شرفت مصر ــ من خلال أحداث الثورة ــ أنها غيرت انطباع الغرب نحو الإسلام، بعد أن اعتقدوا أن الإسلام مصدر الإرهاب والتطرف،

وأتباعه هم مجموعة من الانتحاريين وسفاكي الدماء.

١٧ــ الدعوة في الدول الأوربية تحتاج إلى تجديد أساليبها، وتحديث طرائقها، والإبداع في وسائلها، واختراع آليات جديدة في تفعيلها، فالله سائلنا ــ يوم أن نلقاه ــ عن وصول الدعوة إليهم قولاً وفعلاً، شكلاً ومضموناً، دراسة وتطبيقاً.

١٨ــ تحولت بعض المساجد ــ بجهود الدعاة ــ إلى مراكز لتجميع الممتلكات والسلع والبضائع التي نهبها اللصوص، ثم يقوم الدعاة بردها إلى أصحابها.

١٩ــ عني بعض الدعاة بتشكيل اللجان الشعبية، التي حرست البيوت، والممتلكات الخاصة والعامة، حيث لبى الشباب النداء الذي خرج من المساجد لتشكيل هذه اللجان مع الشيوخ والرجال.

٢٠ــ على الدعاة دور كبير بعد الثورة في معركة الإصلاح والبناء، وحراسة مكتسبات الثورة.

أهـــــم التوصيـــــــــات:

١ ــ لابد من إيماننا أننا قادرون على التغيير، والنهوض بحياتنا إلى الحياة المثلى، فلندع السلبية الخرقاء، والخنوع المذل، ونربأ بأنفسنا أن نعيش في أجواء الفساد، لأن الشعوب هي التي تكبل نفسها بنفسها، وإذا ضاعت الحرية ضاع تبعاً لها كل شيء.

٢ ــ إن الثورة المصرية أعطت لبعض التيارات الإسلامية المحظورة مثل الإخوان المسلمين، والتيار السلفي، والجماعة الإسلامية وغيرهم، الجو الآمن، والمناخ المعتدل للتعرف على أفكارهم، فعليهم أن يحسنوا عرض أفكارهم، لأنهم حين يتكلمون فإنهم يتحدثون باسم الإسلام، فإما أن يكونوا صورة مشرفة له، وإما أن يكونوا سبباً في كفران الناس به.

٣ ــ أن لا يدع الدعاة نصح الحكام ووعظهم بالكلمة الطيبة الراشدة، والموعظة الحسنة اللينة، كي يستقيم حال الراعي والرعية، فلا علينا أن نجعل من الحكام آلهة، بل هم بشر، يخطئون ويصيبون، وكان الخلفاء من أصحاب النبي ﷺ

يقبلون نقد الناقدين، واعتراض المعترضين.

٤ ـ الحفاظ على روح الثورة في إعادة بناء مصرنا الحبيبة الغالية، لتكون قاطرة حضارية لأمتها، كما كانت طوال حياتها.

والحمد لله رب العالمين!!!

أهـم المصـادر والمراجـــع

(١) كتاب الله الخالد.
(٢) إحياء علوم الدين، الإمام/ أبو حامد الغزالي،دار المعرفة، بيروت، بدون طبعة وتاريخ.
(٣) أدب الدنيا والدين، الإمام/ أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، المطبعة الكبرى، الأميرية، ببولاق مصر، ط/١، بدون تاريخ.
(٤) الإسلام كبديل عن الأفكار والعقائد المستوردة، الشيخ/ محمد قطب، مكتبة السنة، القاهرة، ط/١، سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
(٥) الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط/٥، سنة ١٩٨٠م.
(٦) أنبياء الله، أحمد بهجت، دار الشروق، ط/٦، سنة ١٩٧٩م.
(٧) تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/١، سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، تحقيق: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون.
(٨) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس، سنة ١٩٩٧م، بدون طبعة.
(٩) تفسير الجلالين، مطبعة الأنوار المحمدية، القاهرة، تحقيق: محمد الصادق القمحاوي.
(١٠) ثورة ٢٥ يناير، قراءة أولى، د/ وحيد عبد المجيد، الناشر: مركز الأهرام بالقاهرة، ط/١، سنة ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.
(١١) ثورة ٢٥ يناير، قراءة أولية ورؤية مستقبلية، د/عمرو هاشم ربيع،مطبوعات مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالقاهرة، مارس سنة ٢٠١١م.
(١٢) ثورة التحرير، السيد عبد الفتاح، دار الحياة، بدون طبعة وتاريخ.
(١٣) ثورة مصر، ١٨ يوماً هزت العالم، أ/حسين عبد الواحد، أخبار اليوم،

قطاع الثقافة.
(١٤) الجامع لأحكام القرآن،الإمام/القرطبي(المفسر)،دار الشعب، القاهرة، بدون طبعة وتاريخ.
(١٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، البغدادي، مكتبة المعارف، الرياض، سنة ١٤٠٣هـ، تحقيق: محمود الطحان، بدون طبعة.
(١٦) خلق المسلم، الإمام/ محمد الغزالي،دار الريان للتراث،القاهرة، ط/١، سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.
(١٧) ديوان الأعشى، بدون بيانات.
(١٨) الرحيق المختوم، المباركفوري، مكتبة الإيمان، القاهرة، ط/١، سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
(١٩) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، دار الريان للتراث، بدون طبعة وتاريخ.
(٢٠) سنن أبي داود، دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
(٢١) سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرون، بدون طبعة وتاريخ.
(٢٢) السيرة النبوية، ابن هشام، دار الفكر العربي، تحقيق: د/ محمد فهمي السرجاني.
(٢٣) شرح النووي على صحيح مسلم، النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/٢، سنة ١٣٩٢هـ.
(٢٤) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن بطال، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط/٢، سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم.
(٢٥) الشوقيات، أحمد شوقي، مطبعة مصر، سنة ١٩٥١م، بدون طبعة.
(٢٦) الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ط/٤، سنة ١٩٩٠م.

(٢٧) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، مؤسسة الرسالة، ط/٢، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
(٢٨) صحيح أبي داود، الألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، ط/١، سنة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
(٢٩) صحيح الأدب المفرد، الألباني، دار الصديق، ط/١، سنة ١٤٢١هـ.
(٣٠) صحيح البخاري، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط/٣، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا.
(٣١) صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
(٣٢) صحيح وضعيف الجامع الصغير، الألباني، إصدار مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، الإسكندرية، بدون طبعة وتاريخ.
(٣٣) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، مكتبة الهلال، تحقيق: د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي.
(٣٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.
(٣٥) الفوائد، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/٢، سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
(٣٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، ط/١، سنة ١٣٥٦هـ.
(٣٧) القصص الصحيح في السنة النبوية، د/ طلعت محمد عفيفي، مكتبة الإيمان، القاهرة، ط/١، سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
(٣٨) كل شيء عن الفيس بوك وثورة الغضب، د/ شريف كمال، سامي الطرابيشي، دار الروضة، القاهرة، ط/١، سنة ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
(٣٩) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط/١، د. ت.

(٤٠) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، القاهرة، سنة ١٤٠٧هـ، بدون طبعة.
(٤١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط/١، سنة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.
(٤٢) المحيط في اللغة، أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط/١، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٦٤م، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، إبراهيم مصطفى، وآخرون.
(٤٣) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، سنة ١٩٦٤م، تحقيق: السيد محمود خاطر، بدون رقم طبعة.
(٤٤) المراح في المزاح، أبو البركات بدر الدين محمود الغزي، دار ابن حزم، بيروت، ط/١، سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي.
(٤٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر، بدون طبعة وتاريخ.
(٤٦) المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير محمد الغضبان، مكتبة المنار، الأردن، ط/٨، سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
(٤٧) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، سنة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، بدون طبعة.
(٤٨) الهوية الإسلامية، محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط/١، سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
(٤٩) وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، مكتبة جزيرة الورد بالقاهرة، ط/١، تحقيق: سعد كريم الفقي، بدون تاريخ.

الجرائد والمجلات ومواقع الانترنت:

- جريدة الأخبار المصرية، أعداد مختلفة.

- جريدة الأهرام المصرية، أعداد مختلفة.
- جريدة الجمهورية، أعداد مختلفة.
- جريدة الدستور المصرية، أعداد مختلفة.
- جريدة الشروق المصرية، أعداد مختلفة.
- جريدة اللواء الإسلامي، أعداد مختلفة.
- جريدة المصري اليوم، أعداد متعددة.
- جريدة اليوم السابع.
- جريدة عقيدتي، أعداد متعددة.
- صوت الأزهر، أعداد مختلفة.
- مجلة الأزهر الشريف، أعداد مختلفة.
- مجلة التبيان، إصدار الجمعية الشرعية الرئيسية بالقاهرة، أعداد مختلفة.
- مجلة الرسالة، إصدار مركز الإعلام العربي.
- مجلة الرواق، إصدار الرابطة العالمية لخريجي الأزهر.
- مجلة الشرق الأوسط.
- مجلة الهلال.
- مجلة الوعي الإسلامي.
- مجلة حواء.
- مجلة طبيبك الخاص.
- مجلة عيون المستقبل.
- مجلة لغة العصر، مجلة الأهرام للكمبيوتر والانترنت والاتصالات.
- موقع السكينة.
- موقع الفريق العربي.
- موقع المعرفة.
- موقع أنا السلفي.
- موقع شبكة أنا المسلم.

- موقع مدونة، عالم المدونات العربية.
- موقع مركز التأصيل للدراسات والبحوث، المركز العربي للدراسات الإنسانية.
- موقع مفكرة الثورة المصرية ٢٥ يناير.
- موقع منتديات المنهج الإسلامي.
- موقع ويكيبديا، الموسوعة الحرة.
- هدية الأهرام إلى شباب التحرير.
- ويكيبديا الإخوان المسلمون.

هذا بخلاف المصادر الأخرى المبثوثة في ثنايا البحث.

الفهـــارس

الموضـــــــــوع	الصفحـــة
مقدمة	٢
المبحث الأول: ثورة التغيير في مصر	٥
المطلب الأول: مفهوم الثورة	٥
المطلب الثاني: أبطال ثورة ٢٥ يناير المصرية	٦
المطلب الثالث: الدعاة ودورهم في الثورة	٩
المبحث الثاني: أخلاق الثوار في ميـدان التحريـر، وكيفية الإفادة منها في مجال الـدعوة إلـى الله ـ تعالى ـ	١٢
تمهيـد	١٢
المطلب الأول: عبقرية التخطيط	١٢
المطلب الثاني: الثبات والصمود	١٧
المطلب الثالث: التكافـل	١٩
المطلب الرابع: مشاركة المرأة للرجل	٢٢
المطلب الخامس: التسامح مع المسيحيين	٢٤
المطلب السادس: الحفاظ على اللغة العربية	٢٦
المطلب السابع: العفاف	٢٩
المطلب الثامن: النظافـــة	٣١
المبحث الثالث: شهادة العالم على الثورة وتوظيفها في خدمة الدعوة	٣٥
المطلب الأول: توصيف الشهادات	٣٥
المطلب الثاني: دور الثورة المصرية في تغيير نظرة الغرب	٣٧

نحو الإسلام	
المطلب الثالث: عوامل نجاح الدعوة في البلاد الغربية (الاستكمال آثار الثورة عالمياً)	٣٨
الخاتمة	٤٤
المراجع	٤٦
الفهارس	٤٩